تقديم: وليد الزرقطوني

ترجمة: أحمد الشرقاوي

منشورات موقع 30 غشت

www.30aout.info

ما يجب أن يعرفه كل ثوري عن القمع

ترجمة أحمد الشرقاوي

Ce que tout révolutionnaire doit savoir de la répression

فيكتور سيرج

Victor Serge

موقع 30 غشت

شتنبر 2021

تقديم:

هناك ثلاثة أسباب دفعتنا إلى نشر هذا الكتاب، أولهما انعدام هذا الكتاب في المكتبات العربية، ومن ثمة حرم المناضلون الناطقون بالعربية من الاستفادة من هذا الكتاب القيم، ومن أجل ذلك، أخذ الموقع على عاتقه ترجمته من اللغة الفرنسية إلى اللغة العربية، أما ثان الأسباب، فهي كون الكتاب من الكتب القليلة والنادرة التي اعتمدت في مادتها على الأرشيف، الذي استولت عليه الثورة (ثورة أكتوبر 1917) لتقديم صورة عن الأجهزة القمعية، وعن كيفية اشتغالها في قمع ومتابعة ومطاردة وتصفية المناضلين الثوريين، ويتعلق الأمر هنا بالبوليس السياسي السري في روسيا القيصرية، خاصة "الأوخرانا"، الجهاز السياسي البوليسي السري للنظام القيصري، مما يعطي للدراسة أهمية تاريخية خاصة، وقيمة علمية كبيرة في خدمة المناضلين الثوريين، وثالث الأسباب، كون الكتاب كان متداولا بشكل كبير في سنوات السبعينات من القرن الماضي، وبالنسبة لمنظمة "إلى الأمام" الماركسية ـ اللينينية المغربية بالأخص، فإن العديد من أطرها الثورية كانت مطلعة عليه، بل كان الكتاب ملهما ومرشدا للمنظمة فيما يخص إجراءاتها الأمنية في مواجهة أجهزة النظام الكمبرادوري القمعية، بل إن كراسة "حول الصمود"، التي صاغها عبد الفتاح الفاكهاني سنة 1974، كانت، بالإضافة إلى استعمال خبرة المنظمة، مستلهمة من هذا الكتاب القيم.

فيكتور سيرج وكتابه "ما يجب أن يعرفه كل ثوري عن القمع":

الكاتب: نبذة مختصرة

ولد فيكتور سيرج في دجنبر 1890 في بلجيكا، من أبوين روسيين مهاجرين سياسيين، واسمه الحقيقي، فيكتور كيبالتشتش. بدأ حياته النضالية كمناضل اشتراكي في صفوف "الحرس الشاب الاشتراكي". ابتداء من 1906 بدأ يخالط الحركة الفوضوية في بروكسيل، فتعرض للعديد من الاعتقالات بسبب نشاطه ذلك، و في سنة 1909 غادر فيكتور سيرج بلجيكا نحو فرنسا، حيث استقر في باريس، و استمر في نشاطه داخل الحركة الفوضوية، و بسبب أنه أسكن عنده العناصر الأساسية لجماعة بونو، التي رفض التبليغ عنها، تم الحكم عليه سنة 1912 بخمس سنوات سجنا، وقد شكلت هذه التجربة مادة لروايته "الناس في السجن"، و بعدما أنهى مدة سجنه تم طرده من فرنسا، فالتحق ببرشلونة في اسبانيا، و استمر في نشاطه النضالي الفوضوي، و خلال هذه الفترة، وفي مقالاته، التي كان ينشرها في مجلة "الأرض والبحرية" تبنى اسم فيكتور سيرج.

في يوليوز 1917، سيشارك فيكتور سيرج في انتفاضة قادها الفوضويون الإسبان، فر على إثرها سرا إلى فرنسا حيث تم اعتقاله من جديد، فحاول الهروب للالتحاق بروسيا الثورية، لكنه اعتقل مرة أخرى وسجن، ولم يتمكن من الالتحاق بروسيا إلا في يناير 1919، حيث تمت مبادلته في صفقة بين فرنسا والسلطة البلشفية، وتحدث فكتور سيرج عن هذه الفترة في كتابه "نشأة قوتنا". في ماي 1919 التحق بالحزب الشيوعي الروسي بعدما تخلى عن الفوضوية وتبنى الماركسية، مما جعله عرضة لهجومات قاسية من طرف رفاقه القدامى، فقام بالدفاع عن روسيا البلشفية.

ستتم تعبئة فكتور سرج في بتروغراد لحظة هجوم القوات البيضاء بقيادة يودنيتش (عن هذه الفترة يتحدث كتابه "المدينة في خطر")، وخلال حصار المدينة أصدر الحزب البلشفي أوامره إلى فكتور سيرج بالحفاظ، وحراسة أرشيف البوليس السياسي القيصري "الأوخرانا"، وطلب منه أن

ينقلها إلى مدينة موسكو، مع توصية خاصة تقول بوجوب إعدامها في حالة انتصار القوات البيضاء، وذلك لكيلا يستطيع الجيش القيصري استرجاعها واستعمالها ضد الثوريين.

بعد هزيمة الجيوش البيضاء، مارس فيكتور سيرج عدة وظائف داخل الحزب البلشفي، وخلال سنة 1920 – 1921 شارك في مؤتمرات الأممية الشيوعية، وتحمل مسؤوليات في الجهاز التنفيذي للأممية الثالثة إلى جانب زينوفييف.

خلال السنوات العشرين، كتب سيرج العديد من المقالات لفائدة الصحافة الشيوعية العالمية، ومن بين أشهر هذه الكتابات، سلسلة من ثلاث مقالات حول أساليب الأوخرانا سيتم نشرها في نونبر 1921، وستشكل المقالات الثلاث الجزء الأول والأطول (الفصل الأول والثاني والثالث) مما سيصبح كتابا تحت عنوان "ما يجب أن يعرفه كل ثوري عن القمع".

كتب فكتور سيرج مقالاته الثلاث في موسكو حيث كان يشتغل في قوميسارية العلاقات الخارجية، وكان الكتاب في البداية عبارة عن وصف لكيفية اشتغال "الأوخرانا"، ذلك أن الاطلاع على الأرشيفات سمح له بمعرفة التقنيات الكلاسيكية المستعملة في التعقب والاقتفاء والتنصت الهاتفي واعتراض الرسائل والتقنيات الأنتروبوميترية والاستعمال الكبير للتسرب والاختراق والاستفزاز. بناء على هذا، قدم فيكتور سيرج نصائحه لكل الثوريين عبر العالم من خلال كتابه القيم.

في سنة 1921، سافر سيرج إلى أوروبا الوسطى، و بالضبط إلى مدينة برلين، حي اشتغل في هيئة تحرير مجلة "أمبريكور" (اختصار لاسم "وكالة الصحافة الأممية الشيوعية")، و خلال وجوده بألمانيا عاين أحداث الانتفاضة الشيوعية في أكتوبر 1923، التي تم سحقها، فانتقل إلى مدينة فيينا، حيث سيتمكن من كتابة الجزء الثاني من كتابه (الفصل الرابع) سنة 1925، و ذلك تحت عنوان "مشكلة القمع الثوري"، و سيتم نشرها في باريس، أما الكتاب كاملا فسيتم نشره سنة 1926 (3000 نسخة)

ليصبح بعد ذلك أحد الكتب الكلاسيكية المستعملة لمواجهة القمع، و منذ ذلك الحين تتالت طبعات الكتاب، و أحيانا بأعداد كبيرة.

كان العنوان الأصلي للكتاب هو **"كواليس أمن عام: ما يجب أن يعرفه كل ثوري عن القمع".**

جهاز "الأوخرانا" موضوع الكتاب:

"الأوخرانا" هو الاسم الروسي لما كان يسمى في روسيا القيصرية ب "فرقة الحفاظ على الأمن والنظام العام"، اختصارا ل "أوخرانوي أو تدني"، بمعنى آخر كانت تمثل البوليس السياسي السري للإمبراطورية القيصرية في نهاية القرن 19 وبداية القرن العشرين، والاسم الروسي الشائع لهذا الجهاز هو "الأوخرانكا".

لقد تم تأسيس الأوخرانا بقرار قيصري يوم 14 غشت 1881 من طرف القيصر ألكسندر الثالث، وقد جاءت لتعوض "الفرقة الثالثة لوزارة الداخلية"، التي تم حلها سنة 1880، وقد تم إنشاء الأوخرانا لمواجهة التهديد الثوري المتصاعد في روسيا، الذي كان يتميز بالعديد من العمليات الإرهابية السياسية المسلحة، خاصة على يد المنظمة الشهيرة "نارودنايا فوليا" (إرادة الشعب)، وهي منظمة إرهابية ثورية قامت بعملية إرهابية يوم 13 مارس 1881 أدت إلى مقتل ألكسندر الثاني.

بعد تأسيسها، انطلقت "الأوخرانا" في عملها عبر زرع المخبرين داخل التنظيمات الثورية، والقيام بأعمال الاستفزاز والتصيد، بهدف خلق وضعية غموض معممة داخل تلك التنظيمات، مع الزيادة في أعداد العملاء المزدوجين، وقد طورت الأوخرانا أسلوب عملها بقيادة سيرجي زوباطوف، فأسست لما يسمى ب "الاشتراكية البوليسية"، حيث تم خلق منظمات مستقلة مراقبة من

طرف عملاء مخبرين، وهو ما سمي بالزوباطوفشتشينا. ومن المعروف عن "الأوخرانا" أن مكتبها في باريس، هو من كان وراء تحرير ونشر ما سمي بكتاب "بروتوكولات حكماء صهيون"، كتاب مزور معادي للسامية لتبرير معاداة السامية وإطلاق المذابح ضد اليهود.

لقد كانت "الأوخرانا" تقوم باستقطاب المخبرين والعملاء "المستفزين" من بين المناضلين الثوريين، ومن داخل التنظيمات الثورية نفسها. وقد تزايد نشاط "الأوخرانا" في هذا المجال ابتداء من ثورة 1905، ويذكر فيكتور سيرج أنه تم اكتشاف داخل مقر ا"الأوخرانا" بمدينة سان بترسبورغ دولابا خاصا بالملفات، ويضم 35 ألف اسما لعناصر اشتغلت مع أو لصالح "الأوخرانا"، ومن داخل التنظيمات الثورية المناهضة للقيصرية: "الاشتراكية الثورية"، "البلاشفة"، "المناشفة"، "الفوضويون". وتبين من خلال الاطلاع على الأرشيف أن الضباط المكلفين باستقطاب ومتابعة أعمال هؤلاء العملاء، كانوا يتوفرون على مجموعة من الكتب الموجزة تتطرق لأساليب الاستقطاب والتوجيه والتحكم في العملاء (دليل عمل).

تميز أسلوب "الأوخرانا" باستعمال مبدأ الاستفزاز (التصيد) على نطاق واسع، ويقوم هذا المبدأ على ترك الحركة الثورية أو التنظيم الثوري، تتطور إلى درجة ما، وتنضج ليتم تصفيتها بالكامل فيما بعد، وقد يترك البعض خارج الشباك ليبدأ العمل من جديد قبل أن يتم اصطياد جماعته من جديد، وسيتم التوسع في هذه التقنية لتصبح شائعة لدى أغلب أجهزة القمع عبر العالم.

يتبين كذلك من تلك الكتب و الأرشيفات أن أساليب "الأوخرانا" تقوم على أسلوب الاقتراب من الثوريين ذوي الشخصية الضعيفة، التي تعيش في الفقر، أو التي تعاني من الإحساس بالإهانة نتيجة الصراعات الداخلية في التنظيمات الثورية، و يقوم الضابط المكلف بالاستقطاب بالمزاوجة بين الأسلوب البسيكولوجي و أسلوب الضغط، مما يؤدي إلى سقوط الضحية بين يديه، بعد ذلك، يبدأ العنصر المستقطب بالحصول على أموال، و ذلك بارتباط مع مستوى المعلومات التي يقدمها للجهاز، و يطلب من العنصر الجديد المستقطب بعدم تغيير نمط حياته و أنشطته حتى لا يثير انتباه رفاقه، و خلال موجات الاعتقال

يتم تجنيب المجند الجديد حالة الاعتقال، و لعدم إثارة الانتباه بين صفوف رفاقه، يتم ترك بعض المناضلين المخلصين خارج دائرة الاعتقال حتى لا يتم استشعار التنظيم بالخطر، و عندما يريد البوليس أن يقوم بترقية أحد العملاء داخل التنظيم إلى مرتبة عليا تنظيميا، يقوم باعتقال من هو أعلى منه مباشرة، فيصبح المخبر مدينا له .

هكذا، استطاعت" الأوخرانا" أن تستقطب عناصر من مستويات عليا داخل التنظيمات الثورية، ومن أشهر هؤلاء عضو اللجنة المركزية للحزب البلشفي ونائبه البرلماني في الدوما، ويتعلق الأمر ب **رومان مالينوفسكي**، الذي لم تكتشف هويته إلا بعد انتصار الثورة، فقام البلاشفة بإعدامه، ونفس الحال بالنسبة لإسرائيل كابلنسكي عامل الطباعة في حزب "البوند"، وكلاهما اشتغل أكثر من 11 سنة لصالح "الأوخرانا".

من بين الشهيرين اللذين استقطبتهم "الأوخرانا"، يأتي اسم **إيفنوأزيف** عضو الحزب "الاشتراكي الثوري"، الذي كان في نفس الوقت مسؤولا عن تنظيم العمليات الإرهابية من داخل الحزب، حيث كان يرأس التنظيم الخاص، وسبق له أن قام بعمليات أدت إلى اغتيال وزراء وموظفين سامين. كان **إيفنوأزيف** يشتغل لصالح "الأوخرانا"، وحتى لا يتم الكشف عن هويته، كانت "الأوخرانا" تقوم السماح للجماعة بعمليات اغتيال، ومن بينها اغتيال الوزير **فيا تشسلاف بلييف** و**الدوق الكبير سيرج**، وقد انفضح أمره سنة 1908. هناك عميل آخر ل "الأوخرانا" ذو شهرة كبيرة سيفتضح أمره داخل الاشتراكيين الثوريين، وستتم تصفيته لاحقا، وهو **البوب غابون**، أحد الأسماء البارزة في ثورة 1905، وقد انفضحت العديد من العناصر العميلة بعد ثورة أكتوبر 1917.

إن النشاط الإجرامي لجهاز "الأورانا" كانت له نتائج خطيرة جدا، أدت إلى تسميم العلاقات الداخلية وسط التنظيمات الثورية، وأدى ثمنها العديد من المناضلين المخلصين، اللذين اتهموا بالعمل لصالح البوليس.

عندما انتصرت ثورة أكتوبر 1917، سقطت أرشيفات الأوخرانا" في يد البلاشفة، اللذين قاموا بمعالجتها

والاشتغال عليها لمدة سنوات للكشف عن العملاء المدسوسين، ذلك أن جزءا منهم ظل يمارس نشاطه داخل أجهزة النظام الجديد، وقام البعض منهم بإحراق الوثائق والملفات التي كانوا يتوفرون عليها، تحت غطاء أنهم يقومون بذلك لحماية الثوريين من أعداء الثورة.

إن التجربة الروسية في مجال قمع الثوريين، عبر بناء جهاز ضخم من البوليس السياسي السري، في محاولة للقضاء على كل مشروع ثوري، يهدف القضاء على قلعة الرجعية، التي تمثلها القيصرية الروسية، التي كانت تحكم امبراطورية شاسعة أطلق عليها "سجن الشعوب"، أثبتت أن لا شيء يقف أمام إرادة الشعوب و قواها الثورية، فقد استطاع البلاشفة بقيادة لينين أن يقودوا العمال و الفلاحين لدك تلك القلعة الرجعية، و نالوا شرف إسقاط القيصرية في روسيا و خلصوا الشعوب و العالم من ويلاتها ضمن مشروع توخى بناء الاشتراكية على طريق الشيوعية، و بقيادة حزب من طراز جديد، الذي بناه لينين، إنه الحزب البلشفي.

إن التاريخ هو تاريخ صراع الطبقات، والجماهير هي من تصنع التاريخ بقيادة طلائعها الثورية، وسيظل الصراع جدليا بين الحق في الثورة، الذي يصونه حزبها الماركسي – اللينيني الثوري، وبين "حق" الرجعيين والمستغلين في كبح الثورة وسحقها، فيقومون بشرعنة ذلك بترسانة من القوانين تحت شعار الحفاظ على الأمن والنظام، تسخر لها كل وسائل البطش المادي والمعنوي، وفي هذا الصراع ينتصر الحق في الثورة، كما تثبت ذلك نماذج الثورات العالمية.

وليد الزرقطوني

مقدمة الكاتب

أسقط انتصار الثورة في روسيا بين أيدي الثوار، الآلية الكاملة للشرطة السياسية الأكثر حداثة، والأقوى، والأكثر خبرة، والتي تشكلت لأكثر من 50 سنة من الصراع المرير ضد نخبة شعب عظيم.

إن معرفة مناهج وطرق هذا البوليس، يقدم لكل مناضل خدمة عملية فورية، لأن الرأسمالية في دفاعها عن نفسها تستخدم نفس الوسائل في كل مكان، ولأن كل البوليس في العالم المتضامن فيما بينه يتشابه بطبيعة الحال.

إن علم النضال الثوري، الذي اكتسبه الروس خلال أكثر من نصف قرن من الجهود و التضحيات الهائلة، يجب على المناضلين في البلدان (و هم مضطرون أيضا)، حيث يتطور العمل اليوم، في الظروف التي تخلقها الحرب و انتصارات البروليتاريا الروسية و هزائم البروليتاريا العالمية - أزمة الرأسمالية العالمية، ونشأة الأممية الشيوعية، و تطور واضح جدا للوعي الطبقي عند البورجوازية : الفاشية، الدكتاتوريات العسكرية، الإرهاب الأبيض و القوانين الجائرة - استيعابها في فترة زمنية أقصر بكثير، فقد أصبح ذلك ضروريا بالنسبة لهم منذ اليوم.

فإذا كان المناضلون مطلعون جيدا على الوسائل التي يتوفر عليها العدو، فربما يصابون بخسائر أقل ... لذلك من الضروري، بهدف عملي، أن تتم دراسة الأداة الرئيسية لجميع الرجعيات ولكل أشكال القمع بعناية، هذه الآلة الخانقة لكل التمردات المشروعة والمسماة بوليسا.

إننا نستطيع ذلك، طالما أن السلاح المتقن، الذي صهرته الأوتوقراطية الروسية للدفاع عن وجودها، ونعني "الأوخرانا"، الأمن العام للإمبراطورية الروسية، قد وقع بين أيدينا.

لكي ندفع بهذه الدراسة إلى أقصى حد، الشيء الذي سيكون مفيدا للغاية، فإن ذلك يتطلب وقتا وراحة لا يمتلكها كاتب هذه السطور، فالصفحات التي سنقرؤها لا تدعي أنها تحل محلها.

إنها ستكون كافية، وأتمنى ذلك، لتحذر الرفاق، وتكشف أمام أعينهم حقيقة صدمتني من الزيارة الأولى لمحفوظات الشرطة الروسية، وهي أنه لا توجد أي قوة في العالم يمكنها وقف المد الثوري عندما يرتفع، وأن جميع رجال الشرطة أيا كانت مكيافيليتهم وعلمهم وجرائمهم، فهم لا حول لهم ولا قوة ...

إن هذا العمل، الذي نشر لأول مرة في "النشرة الشيوعية" في نونبر 1921، قد تم استكماله بكل عناية، والقضايا العملية والنظرية، التي تثيرها دراسة آلية اشتغال الشرطة، التي لا يمكن ألا تثار في ذهن القارئ العامل، مهما كان تكوينه السياسي، قد تم بحثها في محاولتين جديدتين.

إن نصائحا للمناضل، على الرغم من بساطتها الواضحة، والتي لا تسمح التجربة في الشك من جدواها، ترسم القواعد الأولية للدفاع العمالي ضد المراقبة والوشاية والاستفزاز (التصيد).

لم يعد بإمكان الطبقة العاملة، منذ الحرب وثورة أكتوبر، أن تكتفي بالقيام بعمل سلبي فقط ومدمر. إن عصر الحروب الأهلية قد انفتح، وسواء كانت راهنيتها يومية على وجه التحديد أو مؤجلة ب "سنوات" فيما يخص الاستحقاق، فإن الأسئلة المتعددة المتعلقة بالاستيلاء على السلطة لا يمكن ألا تطرح منذ اليوم بحدة على معظم الأحزاب الشيوعية.

في بداية سنة 1923 يبدو النظام الرأسمالي في أوربا في حالة استقرار، مثبطة لعزيمة فاقدي الصبر، علما أن الاحتلال "السلمي" للروهر كان قد ألقى بقوة حقيقية، بشبح الثورة على ألمانيا قبل نهاية العام.

من الآن فصاعدا، فإن أي عمل يميل إلى تدمير المؤسسات الرأسمالية في حاجة إلى استكماله من خلال إعداد نظري على الأقل، لعمل الغد الإبداعي ... وقد قال باكونين:

"إن الروح المدمرة هي أيضا الروح المبدعة".

هذه الفكرة العميقة، التي تم تأويلها حرفيا قد ضللت الكثير من الثائرين بشكل بئيس، أصبحت اليوم حقيقة عملية، فنفس روح الصراع الطبقي اليوم تقود الشيوعيين إلى التدمير

والإبداع في نفس الوقت. مثلما يجب أن تستكمل معاداة النزعة العسكرية الحالية بإعداد الجيش الأحمر، فإن مشكلة القمع التي تفرضها الشرطة والعدالة البورجوازية لها جانب إيجابي ذو أهمية كبيرة، فارتأيت أنه من واجبي تحديد ذلك في خطوطه العريضة.

علينا أن نعرف وسائل العدو، ونحتاج أيضا معرفة المدى الكامل لمهمتنا.

فيكتور سيرج

مارس 1925

الأوخرانا الروسية

I - الشرطي: عرض خاص

أحدثت "الأوخرانا" سنة 1881 لتخلف "الشعبة الثالثة" الشهيرة لوزارة الداخلية الروسية، لكنها لم تبدأ في التطور حقيقة إلا ابتداء من سنة 1900، التاريخ الذي وضع فيه على رأسها جيل جديد من رجال الدرك، وكان ضباط الدرك السابقون، خاصة اللذين هم في الرتب العليا، يعتبرون أن القيام بمهام الشرطة يتعارض مع الشرف العسكري.

لقد ألقت المدرسة الجديدة ب "أزمة الضمير" في سلة المهملات، وشرعت في تنظيم علمي للبوليس السري (الاستفزاز (التصيد) الوشاية والخيانة داخل الأحزاب الثورية)، وكان عليها أن تنتج رجالا ذوي ثقافة واسعة وذوي موهبة كما هو الحال بالنسبة للعقيد **سبيريدوفتش**، الذي ترك لنا تاريخا ضخما حول الحزب الاشتراكي الثوري وتاريخ الحزب الاشتراكي الديموقراطي.

كان تجنيد ضباط الدرك وتكوينهم وتدريبهم المهني موضوع رعاية خاصة، فكان لكل واحد منهم ملفا لدى الإدارة العامة، ويحتوي الملف كوثيقة كاملة للغاية على كثير من التفاصيل الطريفة: الطبع، مستوى التعليم، الذكاء، حالة الخدمة، ويتم تسجيل كل شيء بروح المنفعة العملية، فعلى سبيل المثال، فإن ضابطا ما كمثال، هو شخص يوصف ب "العقل الضيق"، لا يصلح إلا للوظائف الدنيا، وإن مثل هذا لا يقتضي إلا الحزم في التعامل معه، ويسجل على ضابط آخر بأنه "يميل إلى مغازلة النساء.

من بين الأسئلة المطروحة في الاستمارة، ألاحظ ما يلي:

"هل يعرف برنامج والقوانين الأساسية للأحزاب؟ وما هي؟"، وأقرأ، أن صاحبنا "صديق النساء"، "يعرف جيدا الأفكار الاشتراكية الثورية والفوضوية، ويعرف بشكل

متوسط الحزب الاشتراكي الديموقراطي، ويعرف بشكل سطحي الحزب الاشتراكي البولوني".

هناك تدرج في كيفية التعامل مع مستويات الإلمام بالمعرفة لدى كل عميل، لكن دعونا نواصل فحص نفس الملف. "هل تابع "شرطينا" دروس تاريخ الحركة الثورية؟" "كم، وفي أي الأحزاب كان هناك عملاء سريون؟ مثقفون؟ وعمال؟"، لأنه غني عن القول، أنه لتكوين كلابها، كانت "الأوخرانا" تنظم دورات، حيث يدرس كل حزب: دراسة أصوله وبرنامجه وأساليبه، وحتى السير الذاتية لمناضليه المعروفين. نسجل هنا، أن رجال الدرك الروس المدربين على أكثر مهام الشرطة السياسية حساسية، لم يكن لهم شيء مشترك مع شرطة أوروبا الغربية، وأنه بالتأكيد لديهم ما يعادلها في الشرطة السرية لجميع الدول الرأسمالية.

II - المراقبة الخارجية: الترصد واقتفاء الأثر

كل مراقبة هي خارجية في المقام الأول، فالأمر يتعلق دائما بتتبع الشخص ومعرفة أفعاله وحركاته وارتباطاته، ثم اختراق نواياه، لذلك تم تطوير مصالح الترصد واقتفاء الأثر بشكل خاص في جميع قوات الشرطة، وتعطينا المنظمة الروسية دون شك نموذجا لجميع المصالح المماثلة.

كانت مصلحة المراقبة الخارجية الأكثر بساطة، فعملاؤها العديدون، اللذين نتوفر على صور هوياتهم، يدفع لهم 50 روبلا شهريا، وكانت مهمتهم الوحيدة هي تعقب ساعة بساعة، ليلا ونهارا دون أي انقطاع، الشخص الذي تم تحديد اقتفاء أثره (تتبعه)، ولا يجب مبدئيا أن يعرفوا اسمه ولا هدف التتبع كاحتياط، وبدون شك ضد أي سلوك أخرق أو ضد أي خيانة، فإن الشخص موضوع التتبع يعطى له لقب: الأشقر، ربة بيت، فلاديمير، سائق العربة ألخ ...

نجد هذا اللقب في الجزء العلوي من التقارير اليومية، مجلدة، مشكلة دفاتر ضخمة، حيث سجل المترصد ملاحظاته. هذه التقارير دقيقة بشكل كبير، ويجب ألا تحتوي على أي فراغات (فجوات)، وتتم صياغة النص بشكل عام تقريبا على النحو التالي:

في الساعة التاسعة وخمس وأربعين دقيقة من يوم 17 أبريل، غادرت ربة البيت منزلها، وضعت رسالتين في المركز في زاوية شارع بوشكين، دخلت العديد من المتاجر في شارع X، دخلت الساعة العاشرة والنصف صباحا شارع Z رقم 13، غادرت الساعة الحادية عشر وعشرون دقيقة صباحا ألخ..

في أخطر الحالات، يترصد عميلان نفس الشخص وفي نفس الوقت دون معرفة بعضهما البعض، فيتقابل التقريران ويتكاملان، وتسلم هذه التقارير إلى قوات الدرك لتحليلها من قبل المختصين.

يضع هؤلاء الموظفون – الجواسيس – الثاقبو الفكر بشكل خطير جداول شاملة، تلخص الأحداث وحركات الشخص وعدد زياراته وانتظامها ومدتها ألخ ...وعن طريق الأماكن، مكنت هذه المخططات من تقدير أهمية علاقات المناضل وتأثيره المحتمل.

قام الشرطي **زوباتوف،** الذي حاول حوالي سنة 1905 الاستيلاء على الحركة العمالية في المراكز الكبرى، بخلق نقابات هناك، وقد وصل بتعقب الأشخاص إلى أعلى درجات الكمال، فقد كانت فرقه الخاصة قادرة على تعقب الشخص عبر روسيا، بل عبر كل أوروبا، متنقلا معه من مدينة إلى أخرى ومن بلد إلى آخر.

علاوة على ذلك لم يضطر المتعقب أبدا إلى القلق: فكتاب النفقات لأحدهم لشهر يناير 1903 يعطينا رقم النفقات العامة التي تصل إلى 637،35 روبلا. ولإدراك أهمية الائتمان المفتوح بهذا الشكل، لصالح واش عادي، دعونا نتذكر أنه في ذلك الوقت، كان الطالب يعيش بسهولة ب 25 روبلا شهريا.

في حوالي سنة 1911، جرت العادة إرسال المتعقبين (المترصدين) إلى الخارج لمراقبة المهاجرين هناك، وربط الاتصال مع الشرطة الأوروبية، لقد كان وشاة جلالة الإمبراطور في عقر دارهم في كل عواصم العالم.

كان من مهام "الأوخرانا" الثابتة، البحث عن، ومراقبة بعض الثوار، اللذين يعتبرون الأكثر خطورة، وبالأساس إرهابيين أو أعضاء في الحزب الاشتراكي الثوري، اللذين مارسوا الإرهاب،

وكان على عملائها أن يحملوا دائما دفاتر صور تحتوي على، من 50 إلى 70 صورة، نتعرف بشكل عشوائي على أسماء: **سافنكوف**، الراحل **ناتاسنون**، **أرغنوف**، **أفكسنتيف** (للأسف!)، **كارلين**، **أوفسيانيكوف**، **فيرا فغنير**، **بشكوفا** (زوجة غوركي)، **فابركانت**، كما كان أيضا في حوزتهم نسخ من صور ماركس، فوجود هذه الصورة في منزل الشخص أو وسط كتاب يشكل مؤشرا.

إليكم تفصيل طريف:

III - خفايا وأسرار الاستفزاز

كانت الآلية الأكثر أهمية في الشرطة الروسية التي لا شك فيها هي "الوكالة السرية"، إنه الاسم اللائق بمصلحة الاستفزاز والتصيد، التي ترجع أصولها إلى النضالات الثورية الأولى، والتي وصلت إلى تطور استثنائي للغاية بعد ثورة 1905.

كان ضباط الشرطة (المسمون ضباط الدرك) المدربين تدريبا خاصا، المكونين والمنتقين، يقومون بتجنيد عملاء مستفزين (عملاء محرضون)، وقد كانت النجاحات التي حققوها بدرجة أقل أو أكثر في هذا المجال قد صنفتهم وساهمت في ترقيتهم. وكانت التعليمات الدقيقة تتوقع أقل التفاصيل مع المتعاونين السريين. وأخيرا، يجمع

لا تمارس المراقبة الخارجية فقط على أعداء النظام القديم، إذ نتوفر على كنانيش تشهد على أن أفعال وحركات وزراء الإمبراطورية لا تفلت من يقظة البوليس، فإحدى كنانيش المراقبة للمحادثات التيلفونية لوزير الدفاع في سنة 1916، تعرفنا على عدد مرات الاتصال في اليوم، وأن شخصيات القصر المختلفة أخذت علما بالصحة الهشة للسيدة سوخوملينوف.

المتخصصون اللذين يتقاضون أجورا عالية، في حزمة واحدة، كل المعلومات المقدمة من طرف العملاء المحرضين، فيدرسونها ويقومون بتشكيلها ووضعها وحفظها في ملفات.

في مباني الأوخرانا (بتروغراد، فونتنكا) كانت هناك غرفة سرية لا يدخلها أبدا إلا رئيس الشرطة والموظف المكلف بترتيب الأجزاء داخلها، إنها غرفة الوكالة السرية، كانت هذه الغرفة تضم على الخصوص دولاب جدادات العملاء المحرضين، حيث وجدنا أكثر من 35 ألف اسما.

في أغلب الحالات، وللزيادة القصوى في الاحتياطات، فإن اسم "العميل السري" يعوض بكنية (لقب)، الشيء الذي يجعل من مهمة تحديد هوية بعض البؤساء بعد الثورة، بعد أن سقطت الملفات الكاملة بين أيدي الرفاق، تكون صعبة بشكل خاص. إن اسم العميل المحرض لا يمكن أن يكون معروفا إلا عند مدير "الأوخرانا" وضابط الدرك المكلف بربط علاقات دائمة معه، حتى الوصل الذي يوقع فيه العميل عند نهاية كل شهر – كان يتم تقييده بطريقة اعتيادية مثل الموظفين الآخرين، بمقادير تتراوح ما بين 3، 10 و15 روبل في الشهر إلى 150 أو 200 روبل كحد أقصى – لا يحمل بصفة عامة إلا ألقابهم، لكن الإدارة تتحدى عملاءها وتخشى أن يتخيل ضباطها من قوات الدرك أنهم متعاونون مزيفون، وتلجأ في كثير من الأحيان إلى مراجعات دقيقة لمختلف فروع منظمتها.

يقوم مفتش ذو صلاحيات واسعة بالتحقيق مع المتعاونين السريين بنفسه، يراهم عند الضرورة، يطردهم أو يزيد في رواتبهم، ودعونا نضيف أن تقاريرهم يتم فحصها بعناية – قدر الإمكان – من قبل بعضها البعض.

IV ـ تعليمات حول التوظيف ومصلحة العملاء المحرضين

دعونا نفتح على الفور وثيقة يمكن اعتبارها ألفا و أوميغا التحريض، و يتعلق الأمر بالوكالة السرية، كتيب من 27 صفحة مطبوع بالآلة الكاتبة من حجم صغير، و تحمل نسختنا (المرقمة ب 35) في نفس الوقت في أعلى الجانبين هذه الإشارات الثلاث:

"سري جدا"، "يجب عدم إرساله أو إظهاره"، "سر مهني". يا له من إصرار على التوصية بالغموض! سوف نفهم السبب قريبا، فهذه الوثيقة تحمل معلومات بسيكولوجية وعملية، وبروح تأهب دقيقة، ومزيج فضولي للغاية من السخرية والنفاق الأخلاقي الرسمي، فإنها سوف تثير علماء النفس في يوم من الأيام.

يبدأ هذا بالمعلومات العامة:

يجب أن يميل البوليس السياسي إلى تدمير المراكز الثورية في الوقت الذي تكون فيه في أقصى نشاطها، وعدم إفساد عملها بالتو قف عند أصغر المؤسسات، لذا فإن المبدأ الأول هو: **دع الحركة تتطور لتصفيتها بشكل أفضل.**

يحصل العملاء السريون على راتب ثابت يتناسب مع الخدمات التي يقدمونها، ويجب على الأمن أن يتلافى جيدا تسليم متعاونيه، وتحقيقا لهذه الغاية، لا يجب اعتقالهم ولا إطلاق سراحهم إلا إذا كان هناك أعضاء من نفس المستوى، ينتمون إلى نفس المنظمات الثورية يمكن أن يعتقلوا أو يطلق سراحهم.

على الأمن تسهيل على العملاء اكتساب ثقة المناضلين.

يلي هذا، فصل عن التجنيد والاستقطاب:

إن تجنيد عملاء سريين هو مصدر هم دائم لمدير البحوث والمتعاونين معه، إذ يجب عليهم ألا يهملوا أية فرصة بما في ذلك إعطاء القليل من الأمل للحصول على عملاء.. إن هذه المهمة صعبة جدا، ولتحقيقها يجب البحث عن اتصالات مع المعتقلين السياسيين ...

وهنا، فإن اللذين يجب اعتبارهم مهيئين للخدمة هم ثوريون ذوو شخصية ضعيفة، جرحوا أو أصيبوا بخيبة أمل من طرف الحزب، يعيشون في بؤس وهربوا من أماكن الترحيل، أو معينين للترحيل.

توصي التعليمات بدراسة نقط ضعفهم واستخدامها "بعناية" وبالتحدث مع أصدقائهم وأقربائهم الخ ... ومضاعفة "في جميع المناسبات الاتصالات بالعمال وبالشهود والآباء، وما إلى ذلك دون إغفال الهدف"...

إنها ازدواجية غريبة في الروح البشرية! أترجم هنا حرفيا ثلاثة أسطر محيرة:

يمكن استخدام الثوار عندما يكونون في حالة بؤس، وبدون التخلي عن مبادئهم يقبلون بتقديم المعلومات ...

هل كان يوجد أمثال هؤلاء بالفعل؟

لكن، فلنستمر.

وضع خراف مع السجناء هو ممارسة ممتازة.

عندما يبدو الشخص ناضجا للخدمة، بمعنى أنه عندما نعرف أن ثوريا يشعر بالمرارة والإحراج المادي، محطم بسبب إحباطاته الشخصية، ونتوفر ضده على بعض التهم الخطيرة بما يكفي نستطيع التحكم فيه وجعله تحت السيطرة:

يتم بالقبض على المجموعة بأكملها التي هو جزء منها، وقيادة الشخص المعني إلى مدير الشرطة، أن تكون هناك أسباب جدية لمقاضاته، مع الاحتفاظ بإمكانية إطلاق سراحه في نفس الوقت مع الثوار المسجونين الآخرين دون التسبب في مفاجأة.

يتم استنطاق الشخص وجها لوجه، ولإقناعه يتم توظيف النزاعات القائمة بين المجموعات، وأخطاء المناضلين، والجروحات في الكرامة.

ونحن نقرأ هذا، نقرأ هذه السطور، يظهر لنا كما لو أن الشرطي "الأب" يشعر بالأسف على مصير ضحيته:

آه، نعم، عندما تذهب إلى الأشغال الشاقة بسبب أفكارك، فإن رفيقك X ... الذي لعب عليك الحيل جيدا، سيستفيد على حسابك. ماذا تريد؟ إن الطيبين يؤدون الثمن لحساب الأشرار!

إن هذا يؤتي أكله عندما يكون الشخص ضعيفا أو يكون في حالة من الذعر، مهدد بسنوات من النفي ...

بقدر المستطاع، يجب أن يكون لديك عدة متعاونين في كل منظمة.

يجب على الأمن توجيه المتعاونين وليس مجاراتهم.

لا يجب أن يكون العملاء السريون على دراية بالمعلومات المقدمة من طرف زملائهم.

وإليكم مقطعا سيستنكره مكيافيلي نفسه، جاء فيه:

إن متعاونا يعمل بشكل غامض في حزب ثوري يمكن ترقيته في منظمته من خلال اعتقال المناضلين الأكثر أهمية.

إن متعاونا يعمل في خفاء داخل حزب ثوري بإمكانه أن يصعد في تراتبية تنظيمية عن طريق اعتقال مناضلين أكثر أهمية (بمعنى أنه لما يعتقل مناضلون مهمون، يجب أن يكون هناك من يعوضهم، ومن هنا يصعد المخبر في المرتبة).

إن ضمان السرية المطلقة لعمل العملاء المحرضين، هو بطبيعة الحال واحد من أهم هموم البوليس.

يتعهد المخبر بالسرية المطلقة عند دخوله الخدمة، ويجب عليه ألا يغير طريقة حياته بأية طريقة، وتكون العلاقة معه محاطة بالاحتياطات التي يصعب تجاوزها.

يمكن إعطاء المواعيد للمتعاونين الموثوق بهم، وتتم هذه المواعيد في شقق سرية مكونة من عدة غرف لا تتواصل مباشرة مع بعضها البعض، حيث يمكن عند الضرورة عزل مختلف الزوار.

يجب أن يكون المستأجر للمسكن موظفا مدنيا، ولا يمكنه أبدا تلقي زيارات شخصية، كما يجب ألا يعرف العملاء السريين أو يتحدث إليهم.

إنه المسؤول الوحيد عن فتح الباب، والتأكد قبل مغادرتهم أ لا أحد يصعد الدرج. تجري المقابلات في غرف مغلقة بالمفاتيح، ولا يجب ترك أي ورقة مهملة، والحرص على ألا يجلس الزائر سواء قرب النافذة أو قريبا من مرآة، وفي أدنى إشارة مشبوهة يجب تغيير الشقة.

لا يمكن للعميل المحرض، بأي حال من الأحوال، أن يأتي إلى مقر الأمن، ولا يمكنه قبول أية مهمة ذات أهمية دون موافقة رئيسه. يجب أن تؤخذ المواعيد بعلامات (رموز) متفق عليها مسبقا، وترسل المراسلة إلى عناوين متفق بشأنها، ويجب كتابة خطابات المتعاونين السريين بنص غير قابل للتعرف عليه، ويحتوي فقط على تعبيرات عادية (تافهة) واستعمال ورق وأظرفة مطابقة للوسط الاجتماعي للمرسل إليه واستعمال الحبر السري.

يرسل المتعاون رسائله بنفسه، وعندما يتلقى الرسائل، عليه حرقها مباشرة بعد قراءتها، ولا يجب تسجيل العناوين المتفق عليها في أي مكان، وتتمثل المشكلة الخطيرة في إطلاق عملاء سريين تم اعتقالهم مع من كانوا ينقلونهم، تنصح التعليمات في هذا الموضوع بعدم اللجوء إلى الهروب، لأن الهروب يثير فضول الثوريين، وعليه، فقبل تصفية منظمة ما، يجب استشارة العملاء السريين، بشأن الأشخاص، اللذين لا يجب اعتقالهم، وذلك حتى لا نخون مصادر معلوماتنا.

V ـ مونوغرافية الاستفزاز في موسكو (1912)

هناك قطعة أخرى تم اختيارها من أرشيف الاستفزاز ستنيرنا حول مدى هذا الأخير، ويتعلق الأمر بنوع من مونوغرافية الاستفزاز في موسكو سنة 1912، إنه تقرير لموظف كبير، هو السيد **م. فيساريونوف،** الذي كان قد تم تكليفه هذه السنة بجولة تفتيشية إلى الوكالة السرية في موسكو.

أنجز فيساريونوف هذا، مهمته من 1 إلى 22 أبريل 1912، وقد شكل تقريره هذا، كتابا كبيرا مطبوعا بالآلة الكاتبة، وضع فيه لكل مستفز بطبيعة الحال لقبا وملاحظة مدققة مخصصة له، وهناك ملاحظات مثير جدا للفضول.

في 6 أبريل 1912، كان هناك 55 من عملاء الاستفزاز في الخدمة رسميا في موسكو تم توزيعهم على الشكل التالي:

الاشتراكيون الثوريون: **17**، الاشتراكيون الديموقراطيون: **20**، الفوضويون: **3**، الطلبة (حركة المدارس): **11**، المؤسسات الخيرية الخ: **2**، الجمعيات العلمية: **1**، زمستوفز (البلديات): **1**. و "تراقب الوكالة السرية في موسكو الصحافة أيضا، والأكتوبريين (حزب الكاديت: الحزب الدستوري الديموقراطي)، عملاء بورتزيف، الأرمن، أقصى اليمين واليسوعيين".

يتم تمييز المتعاونين عموما، بملاحظة مختصرة، مدونة تقريبا على النحو التالي:

"الحزب الاشتراكي الديموقراطي، المجموعة البلشفية، **بارتنوي** (الخياط) خراط الخشب، ذكي، في الخدمة منذ عام 1910، يتلقى 100 روبل شهريا، متعاون مطلع جدا، سيكون مرشحا في الدوما، شارك في الندوة البلشفية في براغ (المقصود هنا ندوة براغ 1912، التي عقدها البلاشفة). من خمسة مناضلين تم إرسالهم من طرف الندوة إلى روسيا، ثلاثة منهم تم اعتقالهم ...".

علاوة على ذلك، لنعد إلى الندوة البلشفية في براغ، فمسؤولنا الكبير في الشرطة مسرور بالنتائج التي حصل عليها العملاء السريون، فقد تمكن البعض منهم من التسلل إلى

اللجنة المركزية، واحد منهم واش ("بياع" بالتعبير المغربي)، كلفه الحزب بنقل أدبياته إلى روسيا، "نحن بالتالي نقبض على كل مستلزمات الدعاية"، هذه ملاحظة شرطينا.

هنا نفتح قوسا. نعم بالفعل، لقد كانوا يقبضون على مستلزمات الدعاية البلشفية في ذلك الوقت، فهل تقلصت فعالية هذه الدعاية بفعل هذا الأمر؟ هل فقدت كلمة لينين المطبوعة شيئا من قيمتها، لكونها مرت على الأيادي الوسخة للوشاة؟

إن الكلمة الثورية لديها كل قوتها في حد ذاتها، هي فقط في حاجة لمن يسمعها ولا يهم من ينقلها.

إن نجاح "الأوخرانا" لا يمكن اعتباره حاسما حقا إلا إذا كان قادرا على منع تزويد المنظمات البلشفية الروسية بالأدبيات الآتية من الخارج، والحال أن "الأوخرانا" لا يمكنها أن تفعل ذلك إلا في حدود معينة، وإلا فإنها ستكشف أوراقها.

VI ـ ملفات عملاء الاستفزاز (عملاء محرضون)

من هو العميل المحرض؟

لدينا الآلاف من الملفات التي سنجد فيها مستندات وفيرة عن شخص وأفعال هؤلاء البؤساء، فلنتتبع بعضها.

<u>الملف 378</u>:

جوليا أوريستوفنا سيروفا (المعروفة باسم برافديفي– الصادقة- و أوليانوفا). وعن سؤال وزير حول خدمة هذه المتعاونة المفصولة (أصبحت ورقة محروقة)، يجيب مدير الشرطة بتعداد إنجازاتها الكبيرة. تتضمن الرسالة أربع صفحات كبيرة، ألخص ذلك ولكن بالمعنى النصي تقريبا:

عملت جوليا أرستنوفاسيروفا من شتنبر 1907 إلى 1910 في مراقبة منظمات الاشتراكية الديموقراطية، وشغلت مناصب مهمة نسبيا في الحزب، واستطاعت أن تقدم خدمات كبيرة في بتروغراد المدينة كما في الإقليم، وقد تمت سلسلة الاعتقالات اعتمادا على هذه المعلومات، التي قدمتها، وفي شتنبر 1907 ساهمت في القبض على نائب الدوما **سيرج سلتكوف،** وفي نهاية أبريل 1908 ساهمت في القبض على أربعة مناضلين وهم: **ريكوف، نوغين، "غريغوار"**و **"كامينيف".**

في 9 ماي 1908، ساهمت في القبض على مجلس الحزب بكامله، وفي خريف نفس السنة ساهمت في اعتقال "بريء"، دوبروفنسكي عضو اللجنة المركزية، وفي فبراير 1909 ساهمت في حجز مواد الطباعة السرية ومكتب جوازات الحزب، وفي 1 مارس1909 ساهمت في القبض على لجنة بترسبورغ بأكملها. زيادة على ذلك، ساهمت في اعتقال جماعة من اللذين يقومون بأعمال المصادرة (ماي 1907) وكذلك في حجز مخزون الأدبيات، وخاصة النقل غير القانوني للأدبيات، التي تمر عبر مدينة **فيلنا**. في سنة 1908، أطلعتنا على جميع اجتماعات اللجنة المركزية وأشارت إلى مكونات اللجان، وفي سنة 1909، شاركت في ندوة الحزب بالخارج، الذي أعطتنا معلومات عنها، وفي نفس السنة راقبت نشاط **ألكسي ريكوف**.

إنها سجلات الخدمات الجليلة.

لكن **سيروفا** انتهت ورقة محروقة، وقد نشر زوجها، وهو نائب في الدوما في صحف العاصمة أنه لم يعد يعتبرها زوجته. لقد فهمنا. وبما أنه لم يعد بإمكانها تقديم خدمات فإن مرؤوسيها قد وضعوا حدا لنشاطها، وسقطت في الفقر، والملف مليء برسائلها الموجهة إلى مدير الأمن:

احتجاجات على إخلاصها، تذكير بالخدمات التي قدمتها، طلبات النجدة.

لا أعرف شيئا مفجعا أكثر من هذه الرسائل المكتوبة بنرفزة، ومستعجلة لمثقفة. إن "العميلة المحرضة المتقاعدة" كما تصف نفسها في مكان ما، تظهر يائسة ومتضايقة من البؤس، وفي محنة أخلاقية تامة، يجب عليها أن تعيش،

بعمل بسيط ومعقول، لكن سيروفا لا تعرف أن تفعل شيئا بيديها، والانهيار الداخلي يمنعها من إيجاد حل.

في 16 غشت 1912، كتبت إلى مدير الشرطة:

"طفلاي، حيث الأكبر يبلغ 5 سنوات ليس لديهما لا ملابس ولا أحذية، لم يعد لي أثاث، أرتدي ملابس رثة للغاية لكي أجد وظيفة. إذا لم أحصل على أية مساعدة فسأنتقل إلى الانتحار ..." وقد حصلت على 150 روبلا.

رسالة أخرى في 17 شتنبر، مرفقة برسالة لزوجها التي حرص مدير الشرطة على إرسالها:

"سترون في الرسالة الأخيرة التي كتبتها إلى زوجي عشية وضع حد لحياتي، كنت ما أزال أدافع عن خدمتي للبوليس، لكن قررت القطع مع ذلك. ليس الأمر لا بالكوميديا ولا بحثا عن ممارسة تأثير ما، لم أعتقد أنني قادرة على الاستمرار في العيش ...".

لكن سيروفا مع ذلك، لم تقتل نفسها، فأياما بعد ذلك بلغت عن عجوز يخبئ السلاح.

في النهاية، فإن رسائلها تشكل كتابا ضخما، وها هي واحدة منها مؤثرة، وهذه بعض أسطر وداع موجهة لرجل كان يوما زوجها:

لقد كنت في كثير من الأحيان مذنبة أمامك، وحتى الآن أنا لم أكتب لك، لكن انس الشر، وتذكر حياتنا المشتركة وعملنا المشترك، وسامحني. أنا أغادر الحياة، أنا متعبة، أشعر أن كثيرا من الأشياء انكسرت داخلي، لا أريد أن ألعن أحدا ومع ذلك فاللعنة على "الرفاق"!

من أين يبدأ الصدق في هذه الرسائل؟ أين تنتهي الازدواجية؟ نحن لا نعرف. نحن أمام روح معقدة، سيئة، مؤلمة، ملوثة، عاهرة، مكشوفة، ومع ذلك، فالأمن لم يبق فاقد الإحساس أمام نداءاتها، فكل واحدة من رسائل سيروفا وضع على حاشيتها بيد رئيس المصلحة وتحمل بعد ذلك قرار الرئيس (المدير):

"اصرفوا لها 250 روبلا"، "وافقوا لها على 50 روبلا". "تعلن المتعاونة القديمة وفاة أحد أبنائها، حققوا في الأمر"، كتب المدير. ثم طلبت تزويدها بآلة للكتابة لكي تتعلم الرقن على

الآلة الكاتبة، لكن الأمن ليست لديه آلات متوفرة. وفي النهاية أصبحت رسائلها ضاغطة شيئا فشيئا.

"باسم أبنائي، كما كتبت، يوم 14 دجنبر، أكتب لكم بالدموع والدم: زودوني ب 300 روبل كآخر مساعدة، فستكفيني دائما"، وقد تمت الموافقة لها على المساعدة شرط أن تغادر بتروغراد. في المجموع، توصلت سيروفا في سنة 1911 ب 743 روبلا ثلاث مرات، وفي سنة 1912، 788 روبلا ست مرات، وكان هذا المقدار لا بأس به في ذلك الوقت.

بعد آخر مساعدة تلقتها في فبراير 1914، حصلت سيروفا على عمل في إدارة السكك الحديدية، وفقدته مباشرة بعد اختلاسها قدرا من المال من رفاقها في العمل، وقد تم تسجيل في ملفها: "متهمة بالابتزاز". لم تعد تستحق أية ثقة، ومع ذلك، تسلمت العمل في شرطة السكك الحديدية، لكن بعد تلقي معلومات عنها تم فصلها.

في سنة 1915، طلبت أيضا أن تعمل مخبرة، وفي 28 يناير 1917، عشية الثورة، كتبت هذه السكرتيرة القديمة لأحد اللجن الثورية: "نبالته، السيد مدير الشرطة، تذكره بحسن خدماتها وإخلاصها، واقترحت عليه تزويده بالأخبار حول نشاط الحزب الاشتراكي الديموقراطي، الذي بإمكانها إدخال زوجها الثاني فيه ...". غداة الأحداث الكبرى، التي نحس أنها آتية، أتألم لعدم إمكانية أن أكون نافعة ...".

الملف 383:

"**أوسيبوف**"، هو نيكولاي **نكولايفتشفرتسكي**، ابن أحد الكهنة، طالب، متعاون سري منذ 1903 من أجل مراقبة المنظمة الاشتراكية الديموقراطية وشبيبة مدارس بافلوغراد.

أرسله الحزب سنة 1905 إلى بترسبورغ في مهمة إدخال السلاح إلى فيلندا، فتقدم بسرعة إلى مديرية الشرطة لكي يتلقى منها التعليمات. بعد أن شك فيه رفاقه تم اعتقاله، وقد قضى ثلاثة أشهر في الشعبة السرية للأوخرانا، وخرج منها لكي يتم إرساله إلى الخارج، "حتى يتم إعادة الاعتبار له في أعين المناضلين".

أنقل، كما ورد في النص، خلاصة تقرير:

يعطي **فرتزكي** الانطباع عن شاب ذكي تماما، مثقف، ذا تواضع كبير، حي الضمير، صادق. ولنشر في إطار مدحه، بأنه يتوفر على أكبر قدر من أجرته، 150 روبلا لصالح والديه المسنين. لقد انسحب هذا الشاب الممتاز في سنة 1915 من الخدمة وظل يتلقى 75 روبلا شهريا.

<u>الملف 317</u>:

"المريض": هو **فلادمير إفانوفتشلوبرغ،** عامل، يكتب بشكل سيء، يعمل في المعمل ويتلقى 10 روبلات شهريا.

بروليتاري الابتزاز.

- **ملف 81**:

سرغي فاسلييفيتش براؤوتسف، هو ابن عضو في نارودنايا فوليا (إرادة الشعب)، يتباها بكونه ترعرع في وسط ثوري، وأن له علاقات واسعة ونافعة ...

ولدينا آلاف الملفات المماثلة، ذلك لأن دناءة وبؤس بعض الأرواح البشرية لا يمكن سبر غورها.

ليست لدينا معرفة بملفات متعاونين سريين (اثنين) الآتية أسماؤهما، مع العلم أنه كان يجب أن يشار إليهما هنا كحالات نموذجية: مثقف ذو قيمة عالية وخطيب شعبي ...

- **ستانسلاو برزوزوسكي،** كاتب بولوني ذو موهبة عالية، محبوب من قبل الشباب، مؤلف كتابات نقدية حول **كانط** و**زولا و ميخايلوفسكي، أفناريوس،** "بطل الاشتراكية، التي رأى فيها أعمق توليف للعقل الإنساني، الذي يريد أن يصنع منه نظاما فلسفيا يحتضن الطبيعة و الإنسانية"(نابرزود (إلى الأمام بالروسية)، 5 ماي 1908)، ومؤلف رواية ثورية "الشعلة"، و يتوصل من الأوخرانا فرع وارسو، نظير تقاريره عن الأوساط الثورية و "المتقدمة"، براتب شهري قدره 150 روبلا.

- الكاهن **جابون** روح حركة عمالية بأكملها في بترسبورغ وموسكو، منظم المظاهرة العمالية الدامية في يناير 1905

بنيران الكوزاك، تم إطلاقها على حشد من المتوسلين، تحت نوافذ قصر الشتاء، وذلك بقيادة كاهنين يحملان صورة القيصر، الكاهن جابون التجسيد الفعلي لإحدى لحظات الثورة الروسية، انتهى به الأمر إلى بيع نفسه للأوخرانا، وبعد التأكد من ممارسته الاستفزاز، فقد تم شنقه من طرف الاشتراكي الثوري **غوتنبرغ**.

VII ـ أحد العائدين، صفحة من التاريخ

حتى اليوم، كل عملاء "الأوخرانا" المخبرين، اللذين لدينا ملفاتهم، لم يتم التعرف عليهم بعد، ولا يمر شهر بدون اضطرار المحاكم الثورية في الاتحاد السوفياتي لمحاكمة بعض من هؤلاء الرجال، نجدهم ونحددهم هويتهم بالصدفة.

في سنة 1924، ظهر لنا أحد البائسين، عائدا إلينا من ماضي يعود لخمسين سنة – كما في ثياب رثة يثير الاشمئزاز – لقد كان عائدا بالفعل.

هذا العائد أثار صفحة من التاريخ، والتي يجب إدراجها هنا، على الأقل لتسليط الضوء على هذه الصفحات الملونة بالطين بقليل من إشعاع البطولة الثورية.

لقد قدم هذا العميل المحرض 37 سنة من الخدمة الجيدة (من 1880 إلى 1917) وكرجل مسن رث، استطاع أن يحبط عمليات البحث عنه من طرف التشيكا لمدة سبع سنوات.

... في حوالي سنة 1879، كان الطالب البالغ من العمر 20 سنة، **أوكلادسكي** الثوري منذ سن 15 سنة، عضو ا في حزب نارودنايا فوليا (إرادة الشعب) كإرهابي، فقد أعد بمعية **جيليابوف** عملية ضد القيصر ألكسندر الثاني، فالقطار الامبراطوري كان عليه أن يفجر، لكنه مر على الألغام دون وقوع حادث، لأن الآلة الجهنمية التي تم وضعها لم تشتغل، هل هو حادث عرضي؟ لقد صدقنا ذلك. لكن 16 ثوريا، من

بينهم **أوكلادسكي.** كان عليهم أن يردوا على "الجريمة"، فقد حكم على أوكلادسكي بالإعدام، هل بدأت مسيرته المتألقة؟ هل كانت قد بدأت قبل ذلك بالفعل؟ لقد منحته رحمة الامبراطور السجن المؤبد. هنا، تبدأ على كل حال سلسلة الخدمات القيمة، التي كان على أوكلادسكي تقديمها إلى شرطة القيصر.

في القائمة الطويلة من الثوريين اللذين قدمهم، كان هناك أربعة من أجمل الأسماء في تاريخنا: **براكينوف جليابوف، تريغوني، فيرا فغنر**، من هؤلاء الأربعة وحدها **فيرا نيكولايفنا فغنر** تمكنت من النجاة، فقد قضت 20 سنة في قلعة **شلوسبورغ**، التي توفي فيها **برانيكوف، أما تريغوني،** بعد أن عانى 20 سنة في هذه القلعة، وقضى أربع سنوات في المنفى في ساخلين، قد رأى قبل أن يموت في يونيو 1917 انهيار اللأتوقراطية، أما **جليانوف** فقد أعدم شنقا.

ينتمي كل هؤلاء الشجعان إلى كوادر نارودنايا فوليا، أول حزب ثوري روسي، أعلن قبل ولادة الحركة البروليتارية، وأعلن الحرب على الأوتوقراطية، كان برنامجها برنامج ثورة ليبرالية، كان من شأن إنجازها أن يعني تقدما هائلا بالنسبة لروسيا، في وقت لم يكن فيه من الممكن القيام بأي عمل آخر، استعملت الإرهاب للضرب بلا هوادة رأس القيصرية، التي أصابها الذعر في بعض الأحيان، وقطع رأسها في 1 مارس 1881.

في هذا النضال لحفنة من الأبطال ضد كل هذا المجتمع القديم المسلح، نشأت عادات وتقاليد وذهنيات، التي جعلتها البروليتاريا دائمة، كان عليها أن تقوي، من أجل انتصار أكتوبر 1917، عدة أجيال من الثوريين.

من بين كل هؤلاء الأبطال لعل **أندري جليابوف**، يمكن أن يكون هو الأكبر، ولا شك أنه قدم أعظم الخدمات للحزب، الذي ساهم في تأسيسه. لقد وشي به من طرف **أوكلادسكي** فألقي عليه القبض في 27 فبراير 1881 في شقة في نيفسكي بصحبة محام شاب من أوديسا، وهو **تريغوني**، كان أيضا عضو في اللجنة التنفيذية الغريبة لنارودنايا فوليا.

يومان بعد ذلك، مزقت قنابل الحزب، ألكسندر الثاني في أحد شوارع بترسبورغ، في اليوم الثاني تلقت السلطات

القضائية خطابا مذهلا من **جليابوف** المسجون في بيير – إي – بول. إنه من النادر أن يتلقى قضاة وملك مثل هذا الصفعة، وناذرا ما استطاع رئيس حزب أن ينجز بهذا القدر من الفخر آخر واجباته.

تقول هذه الرسالة:

"إذا كان الملك الجديد، الذي استلم الصولجان بفضل الثوار، يعتزم التمسك ببقايا النظام القديم، إذا كان يعتزم إعدام ريساكوف، فإن الظلم سيكون صارخا إذا ما أبقاني على الحياة، أنا الذي طالما حاولت عدة مرات النيل من حياة ألكسندر الثاني، وأن خطئا حدث بالصدفة منع من المشاركة في تنفيذه. أحس أنني قلق للغاية لمجرد التفكير أن الحكومة يمكن أن تعطي قيمة للعدالة الشكلية أكثر من العدالة الحقيقية، وأن تزين تاج الملك الجديد بجثة بطل شاب، فقط بسبب عدم وجود أدلة رسمية ضدي أنا، المحارب القديم المتمرس في الثورة. بكل قوة روحي، فأنا أحتج ضد هذا الظلم، و وحده جبن الحكومة، يمكنه أن يشرح أنه لماذا لم يتم وضع مشنقتين بدل واحدة".

لقد نصب القيصر الجديد ألكسندر الثالث ستة مشانق للثوريين، وفي اللحظة الأخيرة تم العفو عن امرأة شابة **جيسي جويلفمان** وهي حامل، وتوفي **جليابوف** إلى جانب شريكته **صوفيا بروفسكايا** مع **ريساكوف** (الذي خان دون داع) و **ميخائيلوف** و الكيميائي **كيبالتشتش**، وعانى **ميخائيلوف** من عذاب أليم ثلاث مرات، عندما قطع حبل الجلاد مرتين وسقط مرتين، ملفوفا في كفنه و معصوب العينين من أجل أن يقف بنفسه.

... ومع ذلك، واصل العميل المحرض **أوكلادسكي** خدماته، ومن بين الشباب المعطاء "الذي كان يذهب إلى الشعب"، إلى الفقر، إلى السجن، إلى المنفى، إلى الموت بلا كلل لتمهيد الطريق إلى الثورة، كان من السهل حدوث اختراقات!

بمجرد أن حل أوكلادسكي بكييف، قام بتسليم إلى البوليسي سودايكين، **فيرا نيكولايفنا فيغنر**، ثم خدم في تيفليس، كمحترف حذق في الخيانة، وخبير في فن ربط العلاقات مع أحسن الناس، وكسب التعاطف ومشاركة الحماس، وبعد

ذلك في يوم ما، بإشارة واحدة دفن رفاقه أحياء، فيتلقى التعويضات المنتظرة.

في سنة 1889، دعته الشرطة الإمبراطورية إلى سان بترسبورغ، حيث قام الوزير دورنوفو، بتطهير أوكلادسكي من كل ماضي سيء، بجعله "المواطن الشرفي "، بتروفسكي، الثوري دائما، بطبيعة الحال، وكاتم سر الثوريين. كان عليه أن يبقى "نشيطا" حتى ثورة مارس 1917. وإلى غاية 1924، نجح في أن يكون فقط مواطنا هادئا في بتروغراد، بعد ذلك تم حبسه في لينينغراد في نفس السجن، الذي كان فيه ضحاياه ينتظرون الموت. وقد وافق على كتابة اعترافات حول حياته إلى غاية سنة 1890، بعد هذا التاريخ، لم يرغب العميل المحرض القديم قول كلمة واحدة، وقد وافق فقط على الحديث عن حقبة لم ينج منها أي شخص تقريبا – من بين الثوريين- لكن كان هو قد ملأها أمواتا وشهداء...

لقد حاكمت المحكمة الثورية بلينينغراد أوكلادسكي في 15 يوما الأولى من شهر يناير 1925. الثورة لا تنتقم، فهذا العائد ينتمي إلى ماضي بعيد جدا وميت جدا.

لقد أخذت هذه المحاكمة التي قادها قدامى الثورة شكل نقاش علمي للتاريخ وعلم النفس، وكانت هذه الدراسة أكثر الوثائق الإنسانية إثارة للحزن، وقد تم الحكم على أوكلادسكي بالسجن لمدة 10 سنوات.

VIII ـ مالينوفسكي

لنتوقف مرة أخرى قليلا عند حالة عميل محرض، كما يعرف تاريخ الحركة الثورية الروسية الكثير منها: إنه العميل المحرض أحد قادة الحزب، إليكم **مالينوفسكي [1]، تلك** الشخصية الغامضة:

في صباح أحد الأيام من سنة 1918 غداة ثورة أكتوبر، السنة الرهيبة: حرب أهلية، مصادرات في البوادي، أعمال التخريب التي يقوم بها التقنيون، مؤامرات، انتفاضة التشيكوسلوفاكيين، التدخلات الأجنبية، السلام سيء

السمعة (بتعبير لينين) بريست لتوفسك، محاولتان لاغتيال فلادميرإليتش.

في أحد الصباحات من هذا العام، تقدم رجل بشكل هادئ إلى قائد قصر سمولني (بتروغراد) وقال له: "أنا مالينوفسكي العميل المحرض، من فضلك اعتقلني".

ولإن الفكاهة لها مكانها في جميع المآسي، كاد قائد سمولني أن يطرد هذا الضيف المزعج: "أنا ليست لدي أية أوامر! و "ليس من شأني أن أوقفك"، "إذن خذني إلى لجنة الحزب"، وفي اللجنة سيتم التعرف بذهول عن الشخص الأكثر كرها واحتقارا في الحزب، لقد تم القبض عليه.

يمكن تلخيص مساره في كلمتين:

وجه العملة: مراهقة صعبة، ثلاثة أحكام بسبب السرقة، موهوب جدا، نشيط جدا، مناضل في منظمات متنوعة، ونظرا للتقدير الذي بدأ يحظى به في سنة 1910، عرض عليه الدخول إلى اللجنة المركزية للحزب العمالي الاشتراكي الديموقراطي الروسي، وفي المؤتمر البلشفي في براغ 1912 أخذها بالفعل، وفي نهاية نفس السنة كان نائبا بلشفيا في دوما الإمبراطورية الرابعة، وفي سنة 1913، أصبح رئيس المجموعة البرلمانية البلشفية.

ظهر العملة: مخبر "الأوخرانا" ("إرنست" ثم "الخياط" منذ 1907 وابتداء من 1910، حصل على مرتبات تقدر ب 100 روبل كل شهر (أجر يسمح بعيش أمير)، يقول **بليتسكي** وهو رئيس شرطة سابق: "كان مانيلوفسكي فخرا للأمن، الذي أصر على أن يجعل منه واحدا من رؤساء الحزب"، عمل على اعتقال مجموعات بلشفية في موسكو، تولا ... سلم إلى البوليس كلا من **مليوتين** و **نوغين** و **ماريا سميدوفتش، و ستالين** و **سفرردلوف**. وقد سلم الوثائق السرية للحزب للأوخرانا، تم انتخابه لمجلس الدوما بمساعدة فعالة وسرية من البوليس.

بعد كشفه تلقى مكافأة كبيرة من وزارة الداخلية واختفى. وقد أتت الحرب وسقط معتقلا في يد الجيش، وعاد إلى النضال في معسكر اعتقال. عاد في النهاية إلى روسيا لكي يصرح أمام المحكمة الثورية: "أطلقوا النار علي!".

لقد أكد أنه عانى بشدة من حياته المزدوجة، وأنه لم يفهم الثورة جيدا إلا متأخرا جدا، وترك الطموح وعقلية المغامرة تجرانه. وقد دحض **كريلينكو** بدون رحمة هذا الدليل، يمكن أن يكون صادقا: ف "المغامر يلعب ورقته الأخيرة".

لا يمكن لثورة أن تتأخر بفك رموز الألغاز النفسية، ولا يمكن أن تتعرض لخطر التعرض للخداع مرة أخرى من قبل لاعب مضطرب وعاطفي، لقد أصدرت المحكمة الثورية حكمها، الذي طالب به كل من المتهم (بفتح التاء) والمتهم (بكسر التاء). بعد ساعات قليلة، تم إطلاق النار بشكل غير متوقع على مالينوفسكي وهو يعبر فناءا منفصلا عن الكرملين.

IX - عقلية الاستفزازي، الاستفزاز و الحزب الشيوعي

هنا يطرح أمامنا المشكل البسيكولوجي للمستفز، بسيكولوجية مرضية بالتأكيد، و لكن هذا لا ينبغي أن يفاجئنا أكثر من اللازم، لقد رأينا في تعليمات الأوخرانا نوع الشخصيات التي "تخدمها" (تهيئها)الشرطة و بأية وسائل، ف**سيروفا** التي تعتبر ضعيفة الشخصية تعيش في ضيق، تناضل بشجاعة، و فجأة، بعد نزعها من وسطها وجدت نفسها ضائعة، تنتظرها الأشغال الشاقة، و ربما حبل المشنقة، لذا عليها قول كلمة، كلمة فقط، حول هذا الذي فعل لها بالضبط بعض الشر ... إنها تتعثر ، و تكفي لحظة جبن، و هناك الكثير من الجبن في أعماق الكائن البشري. إن الفظيع في الأمر من الآن فصاعدا، أنها لا يمكنها أن تتمالك نفسها، ومن الآن فصاعدا نشدها إلينا، فإذا رفضت أن تستمر، فسيتم إلقاء أول وشاية في وجهها على مرآى ومسمع من المحكمة. بعد فترة زمنية معينة، أصبحت معتادة على المزايا المادية لهذا الموقف البغيض لأنها تشعر بالأمان التام في نشاطها السري ...

لا يوجد فقط هؤلاء العملاء الاستفزازيون بسبب الجبن، فهناك أخطر من ذلك بكثير، الهواة المغامرون (دليتانتي)، اللذين لا يؤمنون بأي شيء، يستهزؤون بالمثل الأعلى الذي خدموه في السابق، يعشقون المخاطر ولديهم حب المؤامرة

والتآمر، في لعبة معقدة حيث يخدعون الجميع. يمكن أن يكون لهؤلاء الأشخاص موهبة، ويلعبون دورا غير قابل للتشفير تقريبا. هكذا كان يظهر جيدا مالينوفسكي، فالأدبيات الروسية لتلك المرحلة، التي تلت هزيمة 1905، تقدم لنا عدة حالات بسيكولوجية لمنعطف مشابه. إن الثوري الذي يعمل في وضعية اللاشرعية – وخاصة الإرهابي – يكتسب شخصية صلبة وإرادة وحبا رهيبا للمخاطر.

إذا كان بهذا، يحصل له بعد ذلك تطور ذهني شائع إلى حد أن يفقد، تحت تأثير التجارب الشخصية الصغيرة – إخفاقات أو خيبات أمل، أو انحرافات فكرية - أو هزيمة مؤقتة للحركة مثاليته، كيف سيصبح بعد ذلك؟

إذا كان قويا حقا فسينجو من الوهن العصبي، ومن الانتحار. لكن بعض المرات سيكون مهيئا لكي يصبح مغامرا بدون إيمان، حيث، بالنسبة له، كل الوسائل جيدة للوصول إلى أهدافه الشخصية، وستكون مهنة الاستفزازي، الوسيلة التي سيحاولون بالتأكيد اقتراحها عليه.

إن جميع الحركات الجماهيرية التي تضم الآلاف والآلاف من الناس، تضم هذه الحثالات، فلا عجب في ذلك. إن هذه الطفيليات ليس لها تأثير يذكر على قوة البروليتاريا وصحتها الأخلاقية. نحن نعتقد أنه كلما أصبحت الحركة الثورية بروليتارية، بمعنى، وبشكل واضح، شيوعية وبقوة، سيصبح العملاء الاستفزازيون وسطها أقل خطورة. إنه لمن المفترض أن يستمر العملاء المستفزون طالما استمر الصراع بين الطبقات، لكنهم يبقون عناصر فردية، يتواجدون حيث تكون هناك عادة العمل والفكر الجماعي، والانضباط الدقيق، والعمل المدروس للجماهير، الذي تلهمه نظرية علمية حول الوضع الاجتماعي حائلا دون تحقيقهم لإنجازات كبرى.

ليس هناك ما يناقض بالفعل المغامرة صغيرها وكبيرها، سوى العمل المنهجي الجاد والعميق والمنظم لحزب ماركسي ثوري كبير، حتى وإن كان غير قانوني، فعدم "الشرعية" الشيوعية، ليست هي عدم "الشرعية" عند الكاربونارين (الكاربونارية تيار سياسي تواجد في كل من إيطاليا وفرنسا، انبثق من جمعية سرية شكلها آل كاربوناري).

إن التهييء الشيوعي للانتفاضة ليس هو كما عند البلانكيين، فقد كان الكاربوناريون و البلانكيون حفنة من المتآمرين يقودهم مثاليون أذكياء و أقوياء.

إن حزبا شيوعيا، وإن كان ضعيفا عدديا، يمثل دائما، من خلال أيديولوجيته، الطبقة البروليتارية، إنه يجسد الوعي الطبقي لمئات الآلاف أو ملايين الناس. إن دوره عظيم جدا ما دام أنه دور دماغ مفكر وجهاز عصبي، لكنه غير مفصول عن الحاجات والتطلعات، وعن نشاط البروليتاريا كلها، بحيث أن النوايا الفردية عندما لا تتوافق مع حاجات الحزب – بمعنى مع البروليتاريا – [2] تفقد فيها الكثير من أهميتها.

بهذا المعنى، فإن الحزب الشيوعي، من بين جميع المنظمات الثورية، التي عرفها التاريخ حتى الآن، هو الأقل عرضة لضربات الاستفزاز.

X ـ الاستفزاز سلاح ذو حدين

تحتوي الملفات الخاصة على عروض خدمة موجهة للشرطة، لقد مررت بالصدفة على مجلد من المراسلات مع دول أجنبية، حيث يمكننا أن نرى على التوالي "شخص دانماركي حاصل على تعليم عالي" و "طالب من كورسيكا من عائلة راقية" "يبحث عن عمل في الشرطة السرية لصاحب الجلالة قيصر روسيا ...". إن المساعدة المالية الممنوحة لسيروفا تشهد على اهتمام (عناية) الشرطة بموظفيها حتى وإن كانوا خارج الإطار، فالإدارة لا تضع في اللائحة السوداء إلا العملاء اللذين ضبطوا في حالة تلبس بالكذب والنصب والاحتيال، واصفة إياهم بالمبتزين، ويفقدون كل حق بالاعتراف من طرف الدولة.

من ناحية أخرى، فالآخرون يمكنهم الحصول على كل شي، الإبقاء أو الإعفاء من الخدمة العسكرية، عفو خافض للحكم، عفو شامل، امتيازات مختلفة بعد الإدانات الرسمية، المعاشات المؤقتة، أو معاشات تقاعدية، كل

شيء، وحتى التدابير التي تعتمد على القيصر نفسه. لقد رأينا كيف أن القيصر يمنح للاستفزازيين القدامى أسماء شخصية جديدة، إن اسم العائلة أو اسم الأب له قيمة دينية وفقا للطقوس الأرتودوكسية، وبالتالي فإن الرئيس الروحي للكنيسة الروسية ينتهك قوانين الدين نفسها ... لكن ذلك يتم فعله من أجل مخبر جيد.

لقد انتهى الأمر بالاستفزاز إلى أن يصبح مؤسسة حقيقية، ويمكن أن يتراوح العدد الإجمالي للأشخاص اللذين شاركوا في الحركة الثورية، وقدموا الخدمات للشرطة على مدى 20 عاما، بين 35 ألف و40 ألف، وتشير التقديرات أن نصف هذا العدد تقريبا قد تم كشفه، ومع ذلك استمر بضعة آلاف من المخبرين في العيش مع الإفلات من العقاب في روسيا نفسها، ولم يكن تحديد هويتهم ممكنا بعد، وقد كان من بين هذا الحشد، رجال ذوو قيمة، هؤلاء هم نفسهم اللذين لعبوا دورا ملموسا في الحركة الثورية.

حتى سنة 1909، كان يوجد على رأس الحزب الاشتراكي الثوري، المهندس **إيفنوآزيف**، الذي كان منذ 1890 يوقع باسمه بكل بساطة تقاريره إلى الشرطة. كان آزيف أحد اللذين نظموا إعدام الدوق الكبير **سيرجو**، وكذلك الوزير **بليهف** وحشد آخر. كان هو الذي يقود، قبل أن يرسلهم إلى الموت، أبطال مثل **كالييف** و **إيغور سزونوف** [3].

في اللجنة المركزية البلشفية، كان على رأس مجموعة الحزب في الدوما، كما رأينا ذلك سابقا، العميل السري مالنوفسكي.

إن الاستفزاز الذي بلغ هذا الحجم الكبير، أصبح في حد ذاته خطرا على النظام، الذي يستخدمه، خاصة بالنسبة لرجالات هاذ النظام، إننا نعرف مثلا، أن أحد أعلى موظفي وزارة الداخلية، البوليسي راتشكوفسكي كان على علم، بل ووافق على مشاريع تصفية بلهيف وسيرج الدوق الكبير.

كان **ستولبين** [4]، الذي كان على علم جيدا بهذه الأشياء، في خرجاته، يذهب برفقة رئيس الشرطة **غيراسيموف** حيث كان وجوده ضمانا ضد الهجمات المرتكبة بتحريض من الاستفزازيين. علاوة على ذلك، فقد قتل ستولبين من طرف الأناركي **بوغروف** الذي كان ينتمي إلى الشرطة.

ورغم كل شيء ما زال الاستفزاز مزدهرا حتى في الوقت الذي اندلعت فيه الثورة. لقد تلقى العملاء الاستفزازيون مدفوعاتهم الشهرية النهائية في الأيام الأخيرة من فبراير 1917، أي قبل أسبوع من انهيار الاستبداد.

حاول عدد من الثوار المخلصين استعمال الاستفزاز، **فبيتروف،** وهو اشتراكي ثوري، الذي ترك ذكريات مأساة شديدة، قد دخل الأوخرانا من أجل محاربتها بشكل أفضل من الداخل. بعد سجنه وتعرضه لرفض أول من طرف مدير الشرطة، قام بادعاء الجنون ليتم إرساله إلى منفى حيث الهروب ممكن، وقد نجح في كل ذلك وهرب، ثم عاد حرا ليعرض خدماته، ولكن سرعان ما اقتنع أن له خصم مخيف، وخان رغما عنه، وقد انتحر بتروف، بعد أن قام بإعدام الكولونيل **كاربوف** (1909).

نجح **الماكسيماليست** [5] (الماكسمالية، تيار فوضوي ظهر في روسيا بين 1883 و1892 ضمن مجموعة أوزفوبوزديني ترودا، وسيعود هذا التيار للبروز سنة 1906 عن طريق جماعة من الشعبويين انبثقوا من الحزب الاشتراكي الثوري الفلاحي)، **سلومون ريس** [6] (مورتيمر)، منظم جماعة إرهابية جريئة للغاية (1906- 1907) في وقت ما، في التلاعب بالأمن، الذي أصبح عميله السري، وتشكل حالة سلومون رايس استثناء ملحوظا، يكاد لا يصدق، والذي لا يمكن تفسيره إلا بالتقاليد الخاصة وبارتباك "الأوخرانا" بعد ثورة 1905.

انطلاقا من القاعدة العامة، فمن المستحيل التلاعب بالشرطة، ومن المستحيل على ثوري اختراق أسرارها، والعميل السري الأكثر ثقة، لا يتعامل أبدا مع أكثر من ضابط أو اثنين من ضباط الشرطة، لا يستطيع الحصول على أي شيء منهم، لكن تلك التي تخدم أقل كلماته وحتى أكاذيبه، يتم الكشف عنها بسرعة.

من ناحية أخرى، أدى تطور الاستفزاز في كثير من الأحيان إلى جعل الأوخرانا تقوم بتخطيط المؤامرات البالغة التعقيد، التي قد لا تكون لها الكلمة الأخيرة دائما. هكذا، كان من الضروري، بالنسبة لأهدافها في 1907، أن تعمل على فرار ذلك رايس نفسه، فمدير الشرطة لا يتردد في أن يذهب

حتى النهاية في هذا الهدف، أي حتى الجريمة، فقد نظم اثنان من رجال الدرك تحت الأوامر، هروب هذا الثوري، وقد كشف التحقيق القضائي الذي تم إجراؤه بشكل سيء دورهما. بعد تقديمهما أمام مجلس الحرب وتجاهلهما رسميا من قبل رؤسائهم، حكم عليهما بالأشغال الشاقة.

XI ـ الجواسيس الروس في الخارج : حالة م. ريموند ريكولي

لقد امتدت تفرعات الأوخرانا بطبيعة الحال إلى الخارج، فملفاتها تحتوي على معلومات عن عدد الأشخاص، اللذين يقطنون خارج حدود الإمبراطورية، واللذين لم يعودوا أبدا إلى روسيا.

فعلى الرغم أنني أتيت إلى روسيا لأول مرة سنة 1919، فقد وجدت سلسلة كاملة من البطاقات باسمي هناك، فقد تابعت الشرطة الروسية بأكبر قدر من الاهتمام شؤون الثوار التي حدثت في الخارج. لقد وجدت في بتروغراد ملفا ضخما حول قضية الأناركيين الروس **ترويانوفسكي** و **كريتشك،** اللذين تم القبض عليهما خلال حرب باريس، وقد تم تضمين ذلك الملف محاضر الاستجوابات في قصر العدل بباريس، و سواء كانوا روسا أو أجانب، فالأناركيون، علاوة على ذلك، كانوا بصفة خاصة مراقبين في كل مكان من خلال رعاية الأوخرانا، التي حافظت على مراسلات منتظمة مع أجهزة الأمن في لندن و روما و برلين الخ...

في جميع العواصم الكبرى، كان هناك رئيس بوليس روسي يقيم بشكل دائم، فخلال الحرب شغل السيد **كراسينيتكوف،** وهو مستشار السفارة رسميا هذا المنصب الحساس في باريس، وفي الوقت الذي اندلعت فيه الثورة الروسية، كان حوالي 15 من عملاء الاستفزاز في باريس في مختلف مجموعات الهجرة الروسية.

عندما اضطر آخر سفير لآخر قيصر إلى إحالة التفويض إلى خلف له عينته الحكومة المؤقتة، تعهدت لجنة مؤلفة من

شخصيات مشهورة من جالية المهاجرين في باريس بدراسة أوراق السيد **كراسيلنيكوف**. لقد تعرفت بسهولة على العملاء السريين، وكانت لديها من المفاجآت الأخرى، تلك التي تتعلق بأحد أعضاء الصحافة الفرنسية، وهو صحفي ذو ميول "وطنية" من النوع الشائع آنذاك، في شارع دي غرينيل، يتقاضى مرتبا بصفته مخبرا وجاسوسا، إنه السيد **ريموندريكولي** [7] المحرر في جريدة لوفيغارو، حيث كان مسؤولا عن خانة السياسة الخارجية.

في تعاونه الغامض مع السيد **كراسيلنيكوف**، قام السيد **ريموند ريكولي**، الذي كان خاضعا للنظام المفروض على المخبرين، باستبدال اسمه باللقب غير الجذاب **راتمير**.

وكمهنة كلب، اسم مناسب، كان راتمير يبلغ الأوخرانا عن زملائه في الصحافة الفرنسية، وكان يطبق في الفيغارو وخارجها سياسة الأوخرانا، كما كان يقبض 500 فرنك شهريا لقاء عمله ذاك. هذه الحقائق معروفة جدا، سيتم العثور عليها في جميع الأنحاء، أعتقد أنها طبعت في وقت مبكر من عام 1918، في باريس، في تقرير ضخم من قبل السيد **أغافونوف**، عضو لجنة التحقيق من المهاجرين الباريسيين حول الاستفزاز الروسي في فرنسا. من المؤكد أن أعضاء هذه اللجنة – بعضهم ما زال يعيش في باريس - لم ينسوا بالتأكيد راتمير– ريكولي. زد على ذلك، فإن روني مارشان قد نشر في لومانيتي سنة 1922، الأدلة المستخرجة من محفوظات الأوخرانا في بتروغراد، النشاط البوليسي للسيد ريكولي، وتشبت هذا الأخير بالإنكار، ولا أحد صدقه، ومع ذلك لم يلفظه زملاؤه، وهذا أمر مفهوم، فقضية إفساد الصحافة من قبل الحكومات الأجنبية وإرشاؤها، هي قضية عادية تماما وجاري بها العمل.

XII ـ الغرف السوداء و البوليس الدولي

كانت تحت إمرة **كراسلنيكوف** مصلحة كاملة من المحققين والمخبرين، وأجور غامضة موظفة في المهام المنحطة، مثل مراقبة مراسلات الثوريين (الغرفة السوداء الخاصة، الخ ...).

في 1913 -1914، (ولا أظن أنها خضعت إلى تغيرات مهمة حتى الثورة)، كانت الوكالة السرية للأوخرانا في فرنسا فعليا تحت قيادة السيد **بيتارد – موران** الذي يصل راتبه إلى 1000 فرنك في الشهر.

لقد سجلت حول كشف الأجور لهؤلاء العملاء، أسماء وأماكن سكنى، ولا أعتقد أن نشرها سيكون غير نافع، ونقدمها هنا:

العملاء السريون في الخارج الموضوعين تحت قيادة بيتارد – موران (باريس):

Invernitzi (Calvi, Corse), Henri Durin (Gênes), Sambaine (Paris), A. ou R. Sauvard (Cannes), Vogt (Menton), Berthold (Paris), Fontaine (Cap-Martin), Henri Neuhaus (Cap-Martin), Vincent Vizzardelli (Grenoble), Barthes (San Remo), Ch. Delangle (San Remo), Georges Coussonet (CapMartin), O. Rougeaux (Menton), E. Levêque (Cap-Martin), Fontana (Cap-Martin), Arthur Frumento (Alassis), Soustrov ou Sourkhanov et David (Paris), Dusossois (Cap-Martin), R. Gottlieb (Nice), Godard (Nice), Roselli (Zurich), Mme G. Richard (Paris), Jean Abersold (Londres), J. Bint

(Cannes), Karl Voltz (Berlin), Mlle Drouchot, Mme Tiercelin, Mme Fagon, [François] Jollivet, Rivet.

كان ثلاثة أشخاص قد أعطيت لهم منح من طرف الوكالة السرية لباريس: الأرملة **فارس،** الأرملة **ريغو،** و **ن.ن تشاتشنيكوف.**

إن التواجد المؤقت لعدد من العملاء في كاب – مارتان أو في أماكن أخرى هو أقل أهمية، ويفسر ذلك بالحاجة لمقتفي الأثر، ولم يكن لدى كل هؤلاء العملاء مشكل فيما يتعلق بالتنقلات.

لقد تمكنوا من تنظيم "غرفة سوداء خاصة رائعة" في جميع أنحاء أوروبا، ولدينا في بتروغراد حزمة كاملة من حزم الرسائل المتبادلة بين باريس ونيس وروما وجنيف وبرلين ولندن الخ ... لقد تم حفظ جميع المراسلات بين **سافينكوف** و**تشرنون** عندما كانا يعيشان في فرنسا، في أرشيفات الشرطة في بتروغراد، كما تم اعتراض المراسلات بين **هآس** [8] و**دان،** كما هو الحال لعدد من المراسلات الأخرى، كيف ذلك؟

إن الحارس أو ساعي بريد المرسل إليه، أو أخيرا، مستخدم بريد، تمت بدون شك مكافأتهم بكل سخاء، يحتفظون لبعض الوقت – الوقت الكافي لاستنساخها – بالرسائل الموجهة إلى الأشخاص تحت الرقابة، وقد كانت المستنسخات في كثير من الأحيان من عمل أناس لا يعرفون اللغة المستعملة من طرف أصحاب الرسائل. علاوة على ذلك، فأخطاء بسيطة مرتكبة تكشفها، فهي تحمل - وهي مستنسخة أيضا- طابع الإرسال والعنوان، وقد كانت تنقل إلى بيتروغراد بأقصى سرعة.

كان البوليس الروسي بالخارج يتعاون [9] بطبيعة الحال مع البوليس المحلي، بينما كان العملاء الاستفزازيون، اللذين يجهلهم الجميع، يلعبون دورهم كثوريين، ومن حولهم يعمل جواسيس **كراسيلنيكوف،** الذين يتم تجاهلهم رسميا، لكن في الواقع تتم مساعدتهم وتشجيعهم.

تظهر حقائق نموذجية صغيرة، طبيعة المساعدة التي قدمتها لهم السلطات الفرنسية، فقد وافق العميل **فرانسسكو ليوني**، الذي كان منخرطا في علاقات مع **بورتزيف** [10] على تسليم بعض أسرار السيد **بيتارد– مونين** له مقابل تمويل. لقد جرحه زميله **فونتانا**، الذي سرق صورته، بضربة عكاز في مقهى قرب محطة قطار ليون (باريس، 28 يونيو 1913) وبعد اعتقال المعتدي وجدوه يحمل بطاقتي عميل الأمن الفرنسي ومسدس، وتم نقله إلى المخفر تحت تهمة رباعية، تتمثل في "اغتصاب الوظائف، حمل الأسلحة المحظورة، ضرب وجرح، وتهديدات بالموت"، وقد أطلق سراحه 24 ساعة بعد ذلك بتدخل من السيد كراسيلنيكوف - بعد أن تم رفض وضعه الرسمي كعميل أمن روسي - أما بالنسبة لليوني المتهور، فقد استطاعت السفارة الروسية الحصول على طرده من فرنسا. وقد روت رسالة من كراسيلنيكوف كل هذه الأحداث لمدير الأمن، وأبلغته بالخطوات المتخذة لطرد **بورتسيف** من إيطاليا.

وفي رسالة أخرى، أبلغ نفس كراسيلينكوف الأوخرانا، أن تدخلات الاشتراكيين بشأن تصرفات الشرطة الروسية المعنية "لم تعد تشكل مصدر خوف وفقا للسلطات الفرنسية، فالاشتراكيون الفرنسيون لهم مشاغل أخرى في الوقت الحالي" [11].

XIII ـ برامج التشفير، الغرفة السوداء مرة أخرى

لكن ماذا لو استخدم الثوريون في رسائلهم أرقاما متفق عليها؟

عند ذلك كانت الأوخرانا تكلف محققا عبقريا بفك تشفير رسائلهم، وقد شهدوا لي أنه لا يفشل أبدا في ذلك. هذا المتخصص، الاستثنائي، المسمى **زيبين**، الذي اكتسب

سمعته العظيمة لحد أنه خلال ثورة مارس تم الاحتفاظ به، انتقل إلى خدمة الحكومة الجديدة، والتي أعتقد أنها استخدمته في مكافحة التجسس المضاد.

يبدو أن أكثر الأرقام تنوعا يمكن فك شفرتها، فسواء استخدمت مجموعات هندسية أو حسابية فإن حساب الاحتمالات يسمح بالعثور على بعض القرائن، ومع ذلك، لا يتطلب الأمر سوى نقطة بداية – أدنى مفتاح- لفك شفرتها. قيل لي أن رفاقا استخدموا، من أجل التواصل، بعض الكتب، حيث وافقوا على وضع علامات على صفحات معينة. لقد وجد زيبين، وهو عالم نفس جيد، هذه الكتب وصفحاتها.

وقد كتب [12] الشرطي السابق السيد إ. باكاي:

"إن الأرقام المستندة إلى نصوص لكتاب معروفين، ونماذج مقدمة من أدلة المنظمات الثورية حول الترتيب الرأسي للأسماء أو العملات" لا قيمة لها.

غالبا ما يتم الحصول على أرقام المنظمات المركزية بواسطة محرضين، أو يتم فك شفرتها على المدى الطويل بعد عمل دقيق. يعتبر بكاي أن أفضل الأرقام الشائعة الاستخدام، هي تلك التي يمكن أن توفرها النصوص المطبوعة غير المعروفة. وقد قام زيبين بتكوين مجموعة من الخزائن من صناديق وملفات، حيث يمكن العثور على الفور على أسماء جميع المدن في روسيا، على سبيل المثال، هناك شارع سان ألكسندر، اسم جميع المدن التي توجد بها هذه المدارس أو تلك المصانع، ألقاب وأسماء جميع الأشخاص المشتبه فيهم، اللذين يعيشون في الإمبراطورية، الخ ...كانت لديه قوائم أبجدية للطلاب والبحارة والضباط، الخ ... وقد وجدوا في رسالة بريئة جدا في ظاهرها هذه الكلمات البسيطة:

"لقد ذهب **الأسمر الصغير** هذا المساء إلى **الشارع الكبير**"، وأيضا جملة أخرى تتعلق ب "طالب الطب": كان يكفي فتح بعض الخزائن لمعرفة ما إذا تم رصد الأسمر الصغير بالفعل، وفي أية مدينة توجد بها كلية طب والشارع

الكبير. كانت ثلاثة أو أربعة أدلة مماثلة كافية لتقديم احتمال جدي.

في جميع المراسلات التي تم رصدها أو القبض عليها، تم تحديد أدنى إشارة إلى شخص محدد على البطاقات التي تشير أرقامها إلى النص الفعلي للرسائل، فالخزائن بالكامل مليئة بهذه الحروف، ثلاث رسائل عادية جدا، تنبثق عن مناضلين تفرقوا في منطقة ما، وتشير بالمناسبة إلى الرابعة، قد تكون كافية لتسليمه.

يجب التأكيد على الأمر التالي:

إن مراقبة المراسلات بواسطة الغرف السوداء - الذي يعتبر تقليدا صارما للشرطة بإنكار وجودها، ولكن بدونها لا توجد شرطة – أمر بالغ الأهمية. تتم مراقبة بريد الأشخاص المشتبه فيهم أو المعروفين، أولا، يكون الفرز، الذي تتم ممارسته عشوائيا باعتراض الأحرف الموجودة على مظروف "المرجو الإرسال إلى" أولئك اللذين تظهر اشتراكاتهم مسطرة بطريقة تقليدية، تلك الموجودة في كلمة تجذب الانتباه بأي شكل من الأشكال.

توفر الرسائل المفتوحة بشكل عشوائي مستندات مفيدة بنفس درجة مراقبة مراسلة مناضلين مؤهلين، ويسعى هؤلاء في الواقع إلى الالتزام في رسائلهم (بينما الحذر الوحيد الحقيقي، وهو في الغالب مستحيل، هو عدم معالجة أشياء تهم الحركة، حتى ولو كان ذلك بشكل غير مباشر)، في حين أن القاسم المشترك لأعضاء الحزب – المجهولين – هو إهمال أبسط الاحتياطات.

تستنسخ الأوخرانا ثلاثة نسخ بالنسبة للرسائل المهمة: واحدة لإدارة الرقابة، واحدة لإدارة الأمن العام، والثالثة لإدارة الشرطة المحلية. تصل الرسالة إلى المرسل إليه في بعض الحالات، كذلك وعلى سبيل المثال، عندما كان يجب الكشف كيميائيا عن حبر سري... كانت الشرطة تحتفظ بالأصل، ويتوصل المرسل إليه بنسخة مزيفة، مقلدة تماما، وهذا يكون من عمل أخصائي مبدع.

يتم استعمال طرق متنوعة لفتح الرسائل حسب براعة المسؤولين: تبخير الأظرفة وإزالة أختام الشمع، الذي يتم إرجاعه بعد ذلك بشفرة حلاقة ساخنة، الخ ... في أغلب

الأحيان، لا يتم لصق زوايا المظروف بشكل كامل، بعد ذلك يتم إدخال جهاز مصنوع من قضيب معدني في الفتحة ويتم لف الرسالة حوله بلطف، بحيث يصبح من السهل إزالتها ثم إعادتها دون فتح الطية.

XIV ـ تركيب المعلومات. منهجية المبيانات

لحد الآن، لم نعالج إلا ميكانيزم الملاحظة عند الأمن الروسي، لقد كانت طرقها، من بعض النواحي تحليلية. **يتم البحث والتنقيب والتسجيل،** وسواء تعلق الأمر بتنظيم، أو بمناضل، فالطرق هي نفسها. بعد مدة – التي يمكن أن تكون قصيرة – يتوفر الأمن على أربعة أنواع من المعطيات حول الخصم:

1)تلك المتعلقة بالمراقبة الخارجية (التتبع، اقتفاء الأثر)، حيث تلخص النتائج في جداول شاملة، تسلط الضوء على أفعاله، حركاته، عاداته، معارفه ومحيطه.

2) تلك المتعلقة بالوكالة السرية والمخبرين، التي تقدم معلومات عن أفكاره ونواياه وأعماله ونشاطه السري.

3) تلك التي يمكن أن توفرها القراءة المتأنية للصحف والمنشورات الثورية.

4) مراسلاته، أو مراسلات بشأنه من أطراف ثالثة تكمل الكل.

كانت درجة دقة المعلومات التي يقدمها العملاء السريون متنوعة بطبيعة الحال، وكان الانطباع العام الذي تعطيه

لا يتم توصيل الرسائل المعترضة مطلقا إلى العدالة، حتى لا يلقي ذلك أي ضوء، وإن كان غير مباشر، حول عمل الغرفة السوداء، فقد كان يتم استعمالها في إعداد تقارير الشرطة، ولم تكن غرفة فك الشفرة تهتم فقط ببرنامج تشفير الثوريين، بل تقوم أيضا بجمع صور الأرقام الدبلوماسية للقوى الكبرى.

الملفات، هو كونها صحيحة بشكل كبير إلى حد ما، خاصة عندما يتعلق الأمر بمنظمات قوية التجذر.

تتوفر ملفات البوليس على محضر مفصل عن كل اجتماع سري، وملخص عن كل خطاب هام، ونسخة عن كل منشور سري، حتى وإن كان مستنسخا [13].

ها هو الأمن إذن، في حوزته توثيقا غزيرا، وعمل الملاحظة والتحليل قد تم، فيبدأ على التو، عمل التصنيف والتركيب حسب منهج علمي، فيتم التعبير عن هذه النتائج بمبيانات.

لنبسط هذا، ونقدم عنوانا: "علاقات بوريس سافينكوف".

هذا الجدول الذي يبلغ علوه 40 سم وعرضه 70 سم، بشكل يسمح بإلقاء نظرة للوهلة الأولى، يلخص كل المعلومات، التي تم تسجيلها عن علاقات هذا الإرهابي:

في الوسط يوجد مستطيل مشكلا بطاقة زيارة تحمل اسمه بخط اليد، ومن هذا المستطيل تشع خطوط تربطه بدوائر ملونة صغيرة، وتشع من هذه الدوائر في غالب الأحيان خطوط تربطها بدوائر أخرى، وهكذا دواليك.

بهذا الشكل، يمكن لعلاقات أحد الأشخاص، حتى وإن كانت غير مباشرة، أن تظهر على الفور، مهما كان عدد وسائطه، بوعي أو بغير وعي والتي تربطه بشخص ما.

تمثل الدوائر الحمراء في جدول علاقات سافينكوف، علاقاته "الكفاحية"، وتنقسم إلى ثلاث مجموعات تتكون من تسعة، ثمانية، أو ستة أشخاص، كلهم أسماؤهم محددة وكذلك ألقابهم. تمثل الدوائر الخضراء الأشخاص اللذين لهم معه، أو كانت له معهم علاقات مباشرة سياسية أو غيرها: يوجد 37، وتمثل الدوائر الصفراء العائلة (تسعة أفراد)، وتشير الدوائر البنية إلى الأشخاص، اللذين لهم علاقة مع أصدقائه ومعارفه ... كل هذا في بتروغراد، كما تشير علامات أخرى إلى علاقاته في كييف.

لنقرأ على سبيل المثال:

ب. س له معرفة ب **فارفارا إدواردونوفا فارخوفسكايا**، التي تعرف 12 شخصا في بتروغراد (الأسماء الشخصية والعائلية، الخ ...) وخمسة في كييف، ربما لا يعرف ب. س شيئا عن هؤلاء 12 والخمسة أشخاص هؤلاء، وهكذا فإن

الشرطة تعرف الشاذة والفاذة عنها أفضل منه. هل يتعلق الأمر بمنظمة؟ فلنأخذ سلسلة من جداول دراسة، يبدو واضحا أنها ملخصات عن منظمة اشتراكية ثورية في مقاطعة **فيلنا**.

دوائر حمراء هنا وهناك، أنواع كأنها مجموعة من النجوم، تتشابك فيما بينها خطوط بشكل غريب. دعونا نفكك الشفرة:

فيلنا. دائرة حمراء: **إيفانوف**، المسمى "العجوز". زنقة (رقم)، مهنة. خط على شكل سهم يربطه هنا ب **بافيل** (نفس المعلومات) وتواريخ تشير لنا إلى 23فبراير (من الساعة 4 إلى الساعة 5)، يوم 27 (في التاسعة، مساء) ويوم 28 (في الساعة الرابعة) ذهب إيفانوف عند بافل. خط آخر على شكل سهم يربطه بمارفا، جاءت عنده يوم 27 ظهرا. وهكذا تتشابك هذه الخطوط مثل الخطوات في الشارع. إن هذا الجدول يسمح بتتبع ساعة بساعة نشاط منظمة ما.

XV ـ قياسات الجسم البشري (الأنتروبمتري)، التبليغات و التصفية ...

دعونا نشير هنا إلى وسيلة مساعدة مفيدة للغاية، التي يتوفر عليها الأمن:

قياسات الجسم البشري (طريقة للتعرف على هوية الأشخاص، وخاصة المجرمين، بواسطة سجل للمقاييس الفردية والعلامات المميزة وبصمات الأصابع).

"البرتيوناج" (نسبة إلى السيد برتيون الذي طور هذا النظام) التي تعد ثمينة بالنسبة لمصالح الهوية القضائية، فكل شخص تم اعتقاله يتم قياس جسمه، بمعنى تصويره عدة مرات من جميع الجوانب، من الأمام، جانبيا، واقف، جالس، و تحدد القياسات بواسطة أدوات التدقيق (شكل الجمجمة و أبعادها، الساعد، القدم، اليد، الخ ... يفحصها متخصصون، اللذين يضعون وصفا علميا (شكل الأنف و

الأذن، ظلال العيون و الندبات و علامات الجسم) كما تؤخذ بصماته، و يمكن لدراسة تعرجات صغيرة جدا للجلد، أن تكون كافية بعد ذلك لتثبت هويته بدون خطأ تقريبا، بصمة أصابع على كأس أو على مزلاج باب، ففي جميع الأبحاث القضائية، توفر سجلات الأنتروبومتري، المصنفة حسب مؤشرات (علامات) مميزة، معلومات إضافية (تكميلية).

إن أبسط الإشارات قد لا تقل خطورة، فيمكن ملاحظة شكل الأذن ولون العينين وشكل الأنف في الشارع دون إثارة اهتمام. هذه المعطيات تكفي عندئذ لشرطي مجرب لتحديد هوية الرجل رغم التغيرات التي نجح في أن يخضع لها جسمه، وبعض الرسائل التقليدية، ترسل بواسطة برقية إشارة علمية.

... من الآن فصاعدا، يصبح المناضلون الرئيسيون معروفين: للشرطة فكرة واضحة عن التنظيم ككل، وهذه المرة، يبقى فقط التحليل الدقيق.

لنفعل شيئا جميلا ونظيفا! إننا نفعله. إنها رسوم بيانية ملونة، بتصوير مائي، معالجة كأنها أعمال مخططة بشكل فني، وضعت لها مفاتيح تشرح العلامات، وأنه رسم تخطيطي للحزب الاشتراكي الثوري، الذي لا يملكه حتى أعضاء اللجنة المركزية لهذا الحزب أنفسهم، أو جدول تنظيم الحزب الاشتراكي البولوني، وللبوند اليهودي وللدعاية في معامل بتروغراد، الخ ...

تتم دراسة كل التنظيمات وكل المجموعات بشكل معمق، وبالمناسبة لا يتم هذا بشكل أفلاطوني! نحن هنا بالقرب من الهدف، إذ يوضح لنا رسم أنيق "مشروع تصفية المنظمة الاشتراكية الديموقراطية في ريغا"، في الأعلى، اللجنة التنفيذية (4 أسماء) ولجنة الدعاية (اسمان)، في الأسفل لجنة ريغا في ارتباط مع 5 مجموعات، التي تخضع لها 26 مجموعة فرعية، 76 في المجموع من الأشخاص لثلاثين منظمة. كل ما عليك فعله هو أن تأخذ هؤلاء الناس في شبكة لاستئصال المنظمة الاشتراكية الديموقراطية لريغا كلها ...

XVI ـ دراسة علمية للحركة الثورية

عندما ينتهي العمل، يشعر مؤلفوه بفخر مشروع لدرجة الاحتفاظ به في الذاكرة، وينشرون – بشكل فخم – ألبوم صور لأعضاء المنظمة، التي تمت تصفيتها.

أمامي الألبوم المخصص لتصفية المجموعة الشيوعية الأناركية "الكومنيون" من قبل شرطة موسكو في غشت 1910.

تمثل أربع لوحات فوتوغرافية أدوات وتسليح المجموعة: 18 عشر صورا مصحوبة بنبذة بيوغرافية، ستخدم المواد - التقارير والسجلات والرسوم البيانية، الخ ... والتي استخدمت حتى هذه اللحظة بروح عملية مباشرة - من الآن فصاعدا بروح علمية إلى حد ما.

في كل عام يتم نشر مجلد من قبل الأوخرانا، مخصص لموظفيها فقط، يحتوي على سرد موجز ولكنه كامل للحالات الرئيسية التي تمت متابعتها، ويقدم معلومات عن الوضع الحالي للحركة الثورية.

كتبت أبحاث (دراسات) ضخمة عن الحركة الثورية، لاستخدامها في تكوين أجيال الدرك الشابة، ونجد هناك لكل طرف تاريخه (أصله وتطوره)، ملخص لأفكاره وبرنامجه، سلسلة من الأرقام مصحوبة بنصوص تفسيرية تغطي رسما تخطيطيا لتنظيمه، قرارات آخر اجتماعاته وإشعارات حول أبرز مناضليه، باختصار، دراسة موجزة وكاملة.

سيكون من الصعب، على سبيل المثال، إعادة كتابة تاريخ الحركة الأناركية في روسيا بشكل خاص، بسبب تشتت الأشخاص والجماعات، والخسائر المذهلة التي عانت منها هذه الحركة أثناء الثورة، وأخيرا كارثتها اللاحقة. لكننا كنا محظوظين لأننا وجدنا في أرشيف الشرطة مجلدا صغيرا ممتازا مفصلا للغاية، يلخص هذه القصة. سيكون من الكافي إضافة بعض الملاحظات ومقدمة قصيرة، لتزويد الجمهور بكتاب له أكبر قدر من الفائدة ...

بالنسبة للأحزاب الكبرى، نشرت الأوخرانا نفسها أعمالا دقيقة (نزيهة) بعضها يستحق إعادة طبعه، والذي كله سينفع يوما ما.

توجد عن الحركة الصهيونية اليهودية 156 صفحة من الحجم الكبير، ملاحظة مكتوبة في قسم الشرطة، نشاط الاشتراكي الديموقراطي خلال الحرب، نص مكثف من 102 صفحة، حالة الحزب الاشتراكي الثوري عام 1908، الخ ... الكثير من الألقاب المأخوذة عشوائيا من الكراسات المأخوذة من قصاصات صحافة شرطة الإمبراطورية، كما أصدرت إدارة الشرطة أيضا أوراق معلومات دورية لموظفيها الكبار.

لأجل القيصر، أنتج في نسخة وحيدة نوع من مجلة مكتوبة بخط اليد، تصدر من 10 إلى 15 مرة في السنة، حيث تم تسجيل أقل حوادث الحركة الثورية – اعتقالات معزولة، عمليات بحث ناجحة، قمع، اضطرابات– لقد كان نيقولا الثاني يعرف كل شيء، ولم يستخف بالمعلومات التي قدمتها الغرف السوداء، وتتم كتابة الملاحظات بشكل متكرر بخط يده.

لم تراقب الأوخرانا فقط أعداء الأوتوقراطية، لقد اعتبرت أنه من الجيد أن يكون لديك أصدقاء، وخاصة معرفة ما يفكرون به. لقد درست الغرفة السوداء على وجه الخصوص رسائل كبار المسؤولين ومستشاري الدولة والوزراء، الحاشية والجنرالات.

تشكل المقاطع المهمة لهذه الرسائل المصنفة حسب المواضيع، وبالتواريخ، في آخر كل ستة أشهر، مجلدا كبيرا مرقونا، يقرأها وحدهم اثنان أو ثلاثة من الشخصيات الكبار. كتب الجنرال "ز" لأميرة "ت" أنها ترفض تعيين السيد "فلان" في مجلس الإمبراطورية، وأن الوزير "ز" يسخر منها في الصالونات، فقد لوحظ هذا (سجل هذا). وزير يعلق بطريقته الخاصة على مشروع قانون، وفاة، خطاب، وتم النسخ والملاحظة بعنوان "معلومات عن الرأي العام" ...

XVII ـ حماية شخص القيصر

تتطلب حماية الشخص المقدس الذي يمثله القيصر آلية خاصة، فقد مررت بحوالي ثلاثين كتيبا مخصصا لكيفية إعداد رحلات جلالة الامبراطور، برا وماء وسكة حديدية وسيارات، في الريف، وفي الشوارع وفي المخيمات. تحكم قواعد لا حصر لها تنظيم كل رحلة للقيصر، فعندما يضطر إلى المرور عبر الشوارع خلال احتفال ما، يصل الأمر إلى دراسة الطريق التي يمر منها منزلا منزلا، نافذة نافذة، لدرجة يتم التعرف بالضبط على منهم الأشخاص اللذين يسكنون على طول الطريق التي يسلكها، ومن هم الناس اللذين يستقبلون. لقد تم رسم خطط جميع المنازل والشوارع التي يمر منها الموكب، رسوم تعرض الواجهات وتحمل أرقام الشقق وكذلك أسماء المستأجرين، التي تسهل رصد المواقع، ومع ذلك كانت حياة نقولا الثاني عدة مرات تحت رحمة الإرهابيين، وكانت تنقده فقط ظروف طارئة وليس الأوخرانا.

XVIII ـ كم يكلف إعدام معين؟

من بين جميع أوراق شرطة القيصر هذه، هناك وثائق لأناس كثيرين مخزنة، كما سبق أن تعرفنا على ذلك، وعلى الرغم من أن هذا خارج الموضوع قليلا، فإني أعتقد بأنه يجب أن أخصص بعض أسطر لسلسلة من الإيصالات البسيطة لمبالغ صغيرة من المال تم العثور عليها مرفقة بملف، لذلك جاءت هذه الأوراق الصغيرة في كثير من الأحيان بعد "تصفية" الجماعات الثورية، تضخيم وإغلاق الملفات التي سبق أن تم ملؤها من طرف المراقبة والتبليغات. كخاتمة، يعلمنا هذا، كم كان يساوي تنفيذ حكم الإعدام بالنسبة لعدالة القيصر، إنها الإيصالات الموقعة لكل أولئك، بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، قدموا يد العون للجلاد.

كانت تكاليف إعدام الأخوين **مودات** و **دجافات مصطفى اوغلي،** اللذين أدانتهما المحكمة العسكرية القوقازية كالتالي:

نقل المحكوم عليهما من قلعة ميتك إلى السجن بالسيارات ب 4 روبل، تكاليف أخرى، 4 روبل للحفر، وملأ حفرتين ب 12 روبلا (يوضح ستة حفارين أن كل واحد منهم تلقى روبلين)، 4 روبلات لإقامة المشنقة، 8 روبل للمشرفين على الأعمال، وروبلان نفقات سفر الكاهن (ذهابا وإيابا)، وتلقى الجلاد 50 روبلا، ومصاريف التنقل روبلان. باختصار، فكل هذا ليس غالي الثمن. بالنسبة للكاهن والطبيب فالتكاليف متواضعة، كهنوتية أحدهما، ومهنة الآخر، ألا يعني هذا، التفاني تجاه البشرية.

ربما يجب أن نفتح هنا فصلا جديدا بعنوان: التعذيب، فكل البوليس في العالم يستخدمون بالفعل، بدرجة أقل أو أكثر، "المسألة القروسطية".

في الولايات المتحدة الأمريكية يمارسون "الاستجواب الثالث" الرهيب، وانتشر التعذيب على نطاق واسع منذ تفاقم الصراع الطبقي في أعقاب الحرب. السبيكورانزا الرومانية، الدفاع البولوني، البوليس الألماني والإيطالي واليوغسلافي والاسباني والبلغاري –يتم نسيانهم بالتأكيد – يستخدمونها بشكل واسع.

لقد سبقتهم الأوخرانا في هذه الطريق، ولكن باعتدال معين، بالرغم من أنه وجدت حالات عديدة أيضا للعقاب البدني – أداة السوط الجلدية- في السجون، تظهر الممارسة التي يلحقها البوليس الروسي بهؤلاء المسجونين قبل ثورة 1905، بصفة عامة أنها أكثر إنسانية من تلك التي تلحقهم اليوم في مراكز الاعتقال وللعمال المناضلين في عشرات الدول الأوروبية. وبعد 1905، كان لدى الأوخرانا غرف تعذيب في وارسو و ريغا و أوديسا، وفي معظم المراكز الرئيسية على ما يبدو.

XIX ـ خاتمة : لماذا تظل الثورة لا تقهر؟

كان على الشرطة أن ترى كل شيء وتسمع كل شيء وتعرف كل شيء واستطاعة كل شيء ...

تبدو قوة آليتها وكمالها بالأحرى، رهيبة، حيث وجدت في أعماق النفس البشرية موارد غير متوقعة، ومع ذلك لم تستطع إيقاف أي شيء. فلمدة نصف قرن، دافعت عبثا عن الاستبداد ضد الثورة، التي تتقوى سنة بعد أخرى، ثم إنه سيكون من الخطأ السماح لنفسك بالإعجاب بالرسم التخطيطي، الذي يبدو مثاليا لآلية الأمن الامبراطوري.

كان هناك في القمة بعض الرجال الأذكياء، وبعض التقنيين ذوي القيمة المهنية العالية، لكن الآلة كلها استندت على سحابة من الموظفين الجهلة، ففي أفضل التقارير التي تم العثور عليها نجد الشناعات الأكثر تسلية، لقد دهن المال تروس الآلة الشاسعة، فقد كان الربح محفزا حقيقيا، ولكنه غير كاف، لا يتم شيء عظيم بدون إيثار، ولم يكن للحكم الاستبدادي مدافعين غير مبالين.

إذا كان لا يزال من الضروري، بعد انهيار 26 مارس 1917 (ثورة فبراير 1917)، أن نثبت، من خلال الحقائق المستعارة من تاريخ الثورة الروسية، الغرور الذي أبدته إدارة الشرطة، يمكننا أن ننتج عددا من الحجج مثل هاته، التي نستعيرها من الشرطي **السابق م. إ باكاي**. في سنة 1906، بعد قمع الثورة الأولى (1905)، في الوقت الذي أعاد فيه رئيس الشرطة **تروسفيتش** تنظيم الأوخرانا، فإن المنظمات الثورية في وارسو، تلك التي تنتمي بالأساس للحزب الاشتراكي البولوني [14] "صفت في السنة 20 جنديا و7 من الدرك و56 ضابط شرطة وجرح 92 منهم، باختصار دمر 179 من ضباط الإنقاذ، كما دمروا 149 من أماكن شرب الخمر، وشارك مئات الرجال في هذه الأفعال، اللذين ظلوا في معظمهم مجهولين عند البوليس".

يلاحظ م. إ بكاي، أنه في فترات نجاح الثورة، كان عملاء الاستفزاز في كثير من الأحيان يفشلون، لكنهم يعودون

للظهور بمجرد عودة الرجعية، مثل الغربان في ساحة المعركة.

في سنة 1917، انهارت الأوتوقراطية، دون أن تتمكن جحافلها من الجواسيس والمستفزين والدرك والجلادين ومراقبي المدينة والكوزاك والقضاة والجنرالات ورجال الدين من تأخير المسار العنيد للتاريخ.

تشير تقارير الأوخرانا التي كتبها **غلوباتشيف** إلى قرب الثورة، وزود القيصر بتحذيرات لم تكن مجدية، تماما، مثل الأطباء الأكثر تعلما، اللذين يتم استدعاؤهم إلى جانب فراش الموت، لا يمكنهم إلا أن يلاحظوا تقدم المرض دقيقة بدقيقة. لقد رأى ضباط الشرطة في الإمبراطورية، اللذين يعرفون كل شيء، وهم عاجزون، القيصرية تتدحرج نحو الهاوية ... لأن الثورة كانت ثمرة أسباب اقتصادية ونفسية وأخلاقية تتجاوزهم، وبعيدة عن متناولهم. لقد حكم عليهم بالمقاومة دون جدوى والاستسلام. إنه من الوهم الأبدي أن تظن الطبقات الحاكمة أنه يمكن محو النتائج بدون الوصول إلى الأسباب، والتشريع ضد الأناركية أو النقابية (كما هو الحال في فرنسا والولايات المتحدة الأمريكية)، وضد الاشتراكية (مثل ما قام به بسمارك في ألمانيا)، وضد الشيوعية التي نسعى إليها اليوم في كل مكان تقريبا. إنها تجربة تاريخية قديمة.

لقد اضطهدت الإمبراطورية الرومانية المسيحيين عبثا، وغطت الكاثوليكية أوروبا بالمحارق، دون أن تنجح في هزيمة الهرطقة والحياة. والحقيقة، هي أن الشرطة الروسية كانت غارقة حتى الأذنين، فالتعاطف الغريزي أو الواعي للغالبية العظمى من السكان تحول إلى أعداء النظام القديم، فقد أثار استشهادهم المتكرر تبشير القلة وإعجاب الكثيرين.

على هذا الشعب المسيحي القديم، فإن الحياة الرسولية للدعاة، اللذين تخلوا عن الرفاهية وعن الأمن، كرسوا أنفسهم لجلب الإنجيل الجديد للبؤساء، إلى السجن وإلى منفى سيبيريا، وحتى بالنسبة للموت نفسه، مارست تأثيرا لا يقاوم. لقد كانوا بالفعل "ملح الأرض": كانوا الأفضل، الوحيدون الحاملون للأمل الكبير، ومن أجل ذلك

اضطهدوا. وهكذا، كانت لديهم القوة الأخلاقية الوحيدة، المتمثلة في تلك الأفكار والمشاعر.

لم تعد الأوتوقراطية مبدءا حيا، لا أحد يعتقد بأهميته، و لم يعد لها إيديولوجيين، فالدين نفسه، من خلال أفواه مفكريه الأكثر صدقا، أدان نظاما لم يعد يرتكز إلا على الاستخدام الممنهج للعنف، فأعظم المسيحيين في روسيا الحديثة، تولستويين و دوخو بورسيين كانوا أناركيين، و الحال أن المجتمع، الذي لم يعد يعتمد الأفكار الحية، حيث مبادئها الأساسية ماتت، يمكن أن تصمد على الأكثر بعض الوقت بقوة الجمود، لكن في المجتمع الروسي في السنوات الأخيرة من النظام القديم، اكتسبت الأفكار الجديدة – التخريبية – سلطة بدون ثقل موازين. كل من في الطبقة العاملة و في البورجوازية الصغيرة وفي الجيش و الأسطول، كان ثوريا في التفكير والعمل، يعني "اشتراكيا" بطريقة أو أخرى. لم يكن هناك، كما هو الحال في بلدان أوروبا الغربية طبقة وسطى راضية، فلم يكن يدافع عن النظام القديم إلا رجال الدين الكبار ونبلاء المحكمة وقطاع المال وعدد قليل من السياسيين. باختصار، من طرف أرستقراطية قليلة العدد، لذلك وجدت الأفكار الثورية أرضية مواتية في كل مكان.

لفترة طويلة أعطى النبلاء والبورجوازية للثورة زهرة أجيالهم الشابة، وعندما كان يختبئ مناضل، كان يلاقي العديد من المساعدات العفوية المخلصة، وبدون حساب، وعندما كان يتم القبض على ثوري – يحدث ذلك في أحيان كثيرة – فإن الجنود المكلفين بنقله يتعاطفون معه، وأنه من بين سجانيه، كان هناك "رفاق" تقريبا، لدرجة أنه في معظم السجون كان من السهل الاتصال سريا بالخارج، وتسهل هذه التعاطفات الفرار أيضا، فقد كان **غيرشوني،** المحكوم عليه بالإعدام، يتم نقله من زنزانة لأخرى يلتقي دركيين، اللذين كانوا "أصدقاء". و وجد **بورتزيف** في معركته ضد الاستفزاز مساعدة لا تقدر بثمن من مسؤول كبير في الداخلية، بالصدفة رجلا شريفا، **م لوبوخين** و من شرطي سابق، هو **م. باكاي.**

كنت أعرف ثورية كانت حارسة في أحد السجون، فحالة "حراس" تم تحويلهم من طرف المعتقلين لم تكن غير

نادرة. أما عن الحالة الذهنية للعناصر الأكثر تخلفا – من وجهة نظر ثورية- من السكان، فإن هذه الحقائق هي مجرد أعراض. وهذه فقط أسباب سطحية واضحة متداخلة مع أسباب أخرى عميقة. إن قوة الأفكار والقوة الأخلاقية والتنظيم والعقلية الثورية، لم تكن إلا نتائج لوضعية اقتصادية، التي ينتهي تطورها إلى الثورة.

تجسد الأوتوقراطية الروسية قوة أرستقراطية لكبار ملاك الأراضي وأوليغارشية مالية تخضع لتأثيرات خارجية، أعاقتها المؤسسات التي لا تساعد إلا قليلا تطور البورجوازية.

كانت الطبقات المتوسطة للمدن، التي تمثل قلة قليلة، مفتقرة للتأثير السياسي، غير راضية، تقدم أطفالها – شباب المدارس والمثقفين - إلى الثورة، إلى ثورة ليبيرالية، وهذا أمر مفهوم، لا ترى أي أفق آت من الموجيك والعامل.

تمردت البورجوازية الكبيرة، الصناعية والتجارية والمالية متمنية إقامة نظام ملكي دستوري على "الطريقة الإنجليزية"، حيث تسقط السلطة في يدها بشكل طبيعي.

وبسبب إرهاقها بالضرائب، ولكونها فريسة، في وقت السلم، وفي زمن الازدهار الأوروبي الكبير، لمجاعات دورية، ولأنها محبطة من طرف محتكري الفودكا، مستغلة بشكل وحشي من قبل رجل الدين والشرطي والبيروقراطي والمالك الكبير، فقد استقبلت الجماهير الفلاحية بحماسة، منذ أكثر من نصف قرن دعوات الثوار، اللذين يوجدون في الطبقات الدنيا: "خذ الأرض يا فلاح".

وبما أنها زودت الجيش بالغالبية العظمى من أفراده، فإن حطب الحروب في لياوبانغ، وموكدين (معارك كبرى بين الجيش الروسي والياباني 1905 انتهت بهزيمة الجيش الروسي)، وككل جلادي الانتفاضات، فالجيش المخدوم من قبل المنظمات العسكرية للأحزاب السرية، الجيش الذي أبقته مجالس الحرب و "نظام تكميم الأفواه" تحت الطاعة، كان يختمر وسط المرارة.

مع تطور الصناعة الرأسمالية، نمت بسرعة طبقة عاملة لا تزال شابة، محرومة من الحق الأساسي في التحدث بلغتها، حيث أعمال الوعي، والحق في التنظيم في الجمعيات

وإصدار الجرائد، كانت غير قائمة في النظام الروسي القديم، كما كانت الطبقة العاملة الروسية جاهلة خدع الديموقراطية البرلمانية، تعيش في الأكواخ القذرة وتكسب أجورا منخفضة وتتعرض لعسف الشرطة، باختصار، وفي ظل وضع، هي فيه، أمام الحقائق العارية للصراع الطبقي، أصبحت أكثر وعيا بمصالحها يوما عن يوم.

كانت ثلاثون قومية غير روسية، أو تم إلحاقها الإمبراطورية عن طريق الحرب، محرومة من حقها الأساسي في التحدث بلغتها، وجعلت الامبراطورية من المستحيل أن تكون لها ثقافة وطنية، فقد تم ترويسها بالقوة، وإبقاؤها تحت النير، فقط بإجراءات مستمرة من القمع.

في بولونيا وفنلندا وأوكرانيا ودول البلطيق، وفي القوقاز، اندلعت ثورات وطنية جاهزة للاندماج مع الثورة الزراعية وتمرد العمال والثورة البورجوازية، وطرحت القضية اليهودية في كل مكان.

في قمة السلطة سلالة منحلة محاطة بالأغبياء، يعالج مصفف الشعر فيليب الصحة الضعيفة للوريث المفترض بالتنويم المغناطيسي.

يعين راسبوتين ويقيل الوزراء في مكاتب خاصة، يسرق الجنرالات الجيش، وكبار الشخصيات ينهبون الدولة، بين هذه السلطة والأمة، بيروقراطية لا تعد ولا تحصى، تعيش بشكل رئيسي على الرشاوى. وسط الجماهير، منظمات ثورية واسعة ومنضبطة، نشطة باستمرار، مستفيدة من تجربة طويلة، كنوع من الهيبة ودعم يقدمه تقليد رائع.

كانت هذه هي القوى العميقة، التي عملت من أجل الثورة وضدها، وعلى أمل لا معنى له لمنع الانهيار، مدت الأوخرانا أسلاكها الشائكة الرقيقة. في هذه الوضعية السيئة عملت الشرطة بمهارة، وسواء نجحت مثلا في تصفية "منظمة الاشتراكي الديموقراطي" في ريغا، 70 اعتقالات قطعت رأس الحركة في المنطقة، ولنفترض للحظة أن التصفية الكاملة قد تمت، ولا أحد نجا منها، فماذا بعد؟

أولا، لم تمر هذه الاعتقالات 70 دون أن يلاحظها أحد، وكان كل واحد من المناضلين على اتصال بعشرة أشخاص على الأقل، و وجد 700 شخص على الأقل فجأة أنفسهم أمام هذه الحقيقة الصادمة: اعتقال أناس صادقين و شجعان، حيث كانت كل جريمتهم أنهم يريدون الصالح العام ...

إن المحاكمات والإدانات والمآسي الشخصية التي تنتج عنها، يسبب انفجارا من التعاطف والاهتمام تجاه الثوريين، وإذا نجح أحدهم في إسماع صوت قوي من قفص الاتهام، فيمكن القول على وجه اليقين، أنه يجب على المنظمة عند سماع نداء ذلك الصوت أن تجدد الولادة من الرماد: لم تكن المسألة سوى مسألة وقت.

بعد ذلك، ما العمل مع المناضلين السبعين المسجونين؟ لا يمكن إلا حبسهم لفترة طويلة بما فيه الكفاية، أو نفيهم إلى المناطق الخالية في سيبيريا، فليكن، ففي السجن – أو في سيبيريا- سيجدون رفاقا، معلمين وتلاميذ، يستغلون الراحة القسرية التي يمنحوهم إياها للدراسة، وأن تكون لأفكارهم ثقافة نظرية. في المعاناة المشتركة يتصلبون، ينصهرون، ويتحمسون. عاجلا أو آجلا، هربا أو عفوا، وبفضل الإضرابات العامة أو أتمموا مدد سجنهم، سيعودون للحياة الاجتماعية، والثوريون القدامى "غير الشرعيين" هذه المرة وبالأخص، هم أكثر قوة من ذي قبل. ليس كلهم بالتأكيد، فبعضهم سيموت في الطريق: انتقاء مؤلم له أهميته، وذكرى الأصدقاء اللذين تم فقدانهم، ستجعل الناجين غير قابلين للتصالح...

في النهاية، لا تكتمل التصفية أبدا، فاحتياطات الثوار تنقد البعض، ومصالح الاستفزاز نفسها تتطلب إطلاق سراح بعض الأشخاص، وتتدخل الصدفة في نفس الاتجاه، والفارون، رغم أنهم وضعوا في مواقف صعبة جدا، فسرعان ما سيجدون أنفسهم قادرين على الاستفادة من تدابير ملائمة.

اعتمد القمع فقط على الخوف، لكن هل يكون الخوف كافيا لمواجهة الحاجة وروح العدالة والذكاء والعقل، هل كل القوى الثورية تظهر قوة هائلة وعميقة للعوامل الاقتصادية للثورة؟ بالاعتماد على التخويف يغفل الرجعيون حقيقة

أنهم يثيرون المزيد من السخط والكراهية والعطش للاستشهاد أكثر من الخوف الحقيقي. إنهم يخيفون الضعيف فقط: إنهم يغضبون الأفضل ويصهرون عزم الأقوياء.

وماذا عن المستفزين؟

للوهلة الأولى، يمكن أن يتسببوا في أضرار فادحة للحركة الثورية، فهل هذا صحيح حقا؟

بفضل مساهمتهم، يمكن للشرطة بالتأكيد من زيادة عدد الاعتقالات و "التصفيات" للجماعات، وفي ظروف معينة، يمكن أن يحبط الأهداف السياسية الأكثر عمقا، يمكن أن تفقد مناضلين ثمينين. غالبا ما كان المستفزون، هم الممونون المباشرون للجلاد. كل هذا فظيع بالتأكيد، لكن الحقيقة، أن الاستفزاز لا يمكن أن يضر بالأشخاص أو الجماعات، وأنه يكاد يكون عاجزا ضد الحركة الثورية ككل (إذا ما توفرت بعض الشروط كوجود قيادة صلبة للحركة – المترجم -).

لقد رأينا عميلا استفزازيا مسؤولا عن إدخال الأدب البلشفي إلى روسيا (1912)، وآخرا (مالينوفسكي) يلقي خطبا في الدوما كتبها لينين، وثالث نظم إعدام **بليهفي**. في الحالة الأولى يمكن لمخادعنا أن يسلم كمية كبيرة إلى حد ما من المطبوعات إلى الشرطة، ومع ذلك لا يستطيع، تحت طائلة "حرقه" على الفور، تسليمه، جميع الأدبيات، وعدم تسليمه حتى كمية قليلة نسبيا. كان إذن سيساهم، طوعا أو كرها في نشرها (الأدبيات)، ومع ذلك، سواء تم نشر كتيب الدعاية عن طريق عميل سري، أو عن طريق مناضل مخلص، فالنتيجة هي نفسها: الشيء الرئيسي هو قراءته، وأن تنفيذ حكم الإعدام في بليهفي سواء نظمه آزيف أو سافينكوف فهذا لا يهمنا، لا يهمنا كثيرا، وإن كانت تلعب لعبة كاماريلا البوليسية، صراع الواحدة مع الأخرى، فالأساسي هو أن يختفي بليهفي، ومصالح الثورة في هذه القضية أكبر بكثير من مصالح المكيافلليين الصغار والسمعة السيئة للأوخرانا.

عندما دوى صوت لينين في مجلس الدوما عبر العميل السري ماليونفسكي، سيكون من الخطأ أن تفرح وزارة

الداخلية بنجاح بعميلها المؤجر، وكلمة لينين تعتبر أكثر أهمية بالنسبة للبلاد من كلمة واحد بئيس في حد ذاته، وحتى يتمكن المرء، كما يبدو لي من إعطاء العميل الاستفزازي تعريفين متساويين، ولكن حيث الثاني هو الأهم بكثير:

1) العميل الاستفزازي هو ثوري مزور.

2) العميل الاستفزازي هو الشرطي الذي يخدم الثورة رغما عنه، لأنه يجب دائما أن يظهر أنه يخدمها.

لكن في هذه المسألة، لا يوجد مظهر دعاية، نضال، إرهاب فكل هذا حقيقة. نحن لا نناضل نصف نضال أو نضالا سطحيا، فقد أحس بها بؤساء، أولئك اللذين في لحظة جبن اندفعوا إلى هذا الوحل.

نشر غوركي ذات مرة في كتابه **"اعتبارات غير ذات راهنية"** رسالة غريبة لعميل استفزازي، فقد كتب الرجل شيئا مثل هذا:

"كان عندي وعي بعاري، لكن كنت أعلم جيدا أنه لا يمكن تأخير بثانية انتصار الثورة".

إن الحقيقة، هي أن الاستفزاز يسمم النضال، إنه يحث على الإرهاب حتى عندما يفضل الثوار الامتناع عنه.

فماذا يجب عمله بالفعل بخائن؟

إن فكرة إبعاده لا يمكن أن تتأتى لأي أحد، ففي نزاع بين الشرطة والثوار، فإن الاستفزاز يضيف عنصرا من المكائد والمعاناة والكراهية والازدراء.

هل هذا خطير على الثورة كما على الشرطة؟

إني أعتقد عكس ذلك، من وجهة نظر أخرى، فإن الشرطة والاستفزاز لهما مصلحة مباشرة في أن تكون الحركة الثورية دائما مهددة.

إذا لزم الأمر، عوض التخلي عن مصدر آخر للربح، سيدبرون مؤامرات بأنفسهم: لقد تمت رؤية هذا. هنا تتعارض مصلحة الشرطة بشكل واضح مع مصلحة النظام، التي تتمثل مهمتها في الدفاع عنه. إن لعب مثل هؤلاء العملاء الاستفزازيين على نطاق معين، يمكن أن يخلق خطرا على الدولة نفسها. لقد نظم **آزيف** ذات مرة هجوما ضد القيصر، هجوم لم ينجح بسبب ظروف طارئة وغير متوقعة (فشل أحد الثوار (ضعف، عجز). في ذلك الوقت، كانت

مصلحة آزيف الشخصية – التي كانت أعز عليه، بلا شك أكثر من أمن الإمبراطورية - تتطلب عملا رائعا: كان يثقل عليه شك في الحزب الاشتراكي الثوري، الذي عرض حياته للخطر، و من ناحية أخرى، تساءلنا عما إذا كانت الهجمات التي نجح فيها لم تكن تخدم نوايا بعض المفلسين (لا يملك سنتيما). يمكن أن يكون ذلك ممكنا، لكن مؤامرات مثل هذه بين أصحاب السلطة، لا تشهد إلا على انحلال نظام، وتساهم شيئا فشيئا في سقوطه.

إن الاستفزاز أكثر خطورة، لعدم الثقة التي يزرعها وسط المناضلين، فبمجرد الكشف عن بعض الخونة، تختفي الثقة داخل المنظمات، إنه أمر رهيب، لأن الثقة في الحزب هي لحمة كل قوة ثورية.

يهمس باتهامات (داخل التنظيم)، ثم تصاغ في الأعلى، وفي غالب الأحيان يكون من المستحيل كشف حقيقتها، وينتج عن ذلك آلام لا نهائية أكثر خطورة في بعض النواحي من الآلام التي يسببها الاستفزاز الحقيقي.

دعونا نتذكر هذه الأشياء المفجعة:

اتهم **باربيس،** البطل بلانكي، و بلانكي رغم 40 سنة من السجن، و رغم كل حياته النموذجية، و شخصيته التي لم تروض أبدا، لم يستطع أبدا أن يغتسل من افتراء لا يستحقه، و اتهم باكونين بنفس الشيء، وأن الضحايا أقل شهرة، لكنهم لم يتأثروا على الأقل:

جيريي لوريون، الأناركي، اتهم بالاستفزاز من قبل النائب "الاشتراكي" **دولوري،** ولكي يغسل نفسه من شك لا يطاق، فقد أطلق النار على العملاء وذهب ليموت في السجن، وفيما يشبه ذلك تقريبا، كانت نهاية أحد الشجعان في بلجيكا، وقد كان أناركيا هو أيضا **هرتنستين سوكولوف** (محاكمة غاند، 1909) الذي وسخته الصحافة الاشتراكية بكل جبن، ومات بسبب ذلك في السجن ...

إنه تقليد:

يجمع أعداء العمل (الحركة)، والجبناء والمرتاحون في مواقعهم والانتهازيون، طواعية أسلحتهم، من المجاري! إن الشك والافتراء يعمل على تشويه سمعة الثوار. لا ينتهي الأمر هنا، فهذا الشر – الشك وعدم الثقة بيننا – لا

يمكن الحد منه إلا بجهد كبير من الإرادة، وهذا علاوة على ذلك، هو الشرط المسبق لأي نضال منتصر ضد الاستفزاز الحقيقي، الذي يلعب فيه كل اتهام فاضح ضد مناضل يلعب اللعبة، بأنه لا ينبغي إطلاق التهم على الشخص بدون ترو، ولا يجب أبدا أن يصاغ اتهام ضد ثوري قبل تصنيفه، فكلما لمس شخص مثل هذا الشكل، يجب على هيئة محلفين من الرفاق أن يحكموا في التهمة أو الافتراء. يجب مراعاة قواعد بسيطة بصرامة مرنة، إذا أراد المرء الحفاظ على الصحة الأخلاقية للمنظمات الثورية. علاوة على ذلك، على الرغم من أنه لا يمكن أن يكون خطرا على الأفراد، لا ينبغي للمرء أن يبالغ في تقدير قوى العميل الاستفزازي: لأنه يعتمد إلى حد كبير على كل مناضل للدفاع عن نفسه بشكل فعال.

لقد اكتسب الثوار الروس في نضالهم الطويل ضد شرطة النظام القديم، معرفة علمية مؤكدة بأساليب وإجراءات الشرطة، وهي إذا كانت قوية جدا، إلا أنها كانت متفوقة عليها ... مهما كان كمال الرسوم البيانية، التي رسمها المتخصصون في الأوخرانا حول نشاط منظمة معينة، فإنه يمكن للمرء أن يكون متأكدا مسبقا من ملاحظة تلك الفجوات.

نادرا ما قلت أن "تصفية" المجموعة كانت كاملة (تامة) : لأنه بسبب الاحتياطات كان ينجو دائما شخص، ففي الجدول الذي تم وضعه بجهد لعلاقات ب. سافينكوف، كانت تنقصه بالتأكيد أسماء، و لا أدري إن كانت الأسماء الأكثر أهمية .(لعل الكاتب لمس جزءا من الحقيقة، و في الواقع التاريخي كانت القيادة البلشفية تجد دائما من يتحمل مسؤولية إعادة بناء التنظيم، حيث تظهر طاقات جديدة وكفأة ليست أقل أهمية من سابقيها، و الأمر هنا ليس بمعجزة، بقدر ما هو ذو صلة بعبقرية لينين التنظيمية، و للمزيد من المعرفة، انظر في هذا المجال "رسالة إلى رفيق" و كراسة "ما العمل" لينين – المترجم -).

اعتبر المناضلون الروس، بالفعل، أن العمل السري يخضع لقوانين صارمة، ففي كل لحظة كانوا يطرحون هذا السؤال: "هل هذا يتوافق مع "التآمر"؟". (المقصود هنا كلمة **كونسبيراتفنو**[15] الروسية، و هي ذات صلة بنظرية سياسية

حول العمل الثوري لدى لينين، انظر كراسة "ما العمل؟" لينين).

لقد كان لقانون "التآمر" منظرين وممارسين بارزين من أكبر الخصوم للأوتوقراطية والرأسمال في روسيا. إن دراسته بشكل جيد سيكون مفيدا للغاية، والتي ربما بسبب بساطته، على وجه التحديد، لا نفكر فيه دائما ...

بفضل علم "التآمر" هذا، تمكن الثوريون من العيش بشكل غير قانوني في العواصم الروسية لشهور وسنوات، فقد حدث في بعض الأحيان أن تحولوا –لحاجات القضية – إلى تجار متجولين وحوذيين عند "الأجانب الأغنياء" وإلى خدم، الخ ... وفي كل هذه الحالات، كان عليهم أن يعيشوا أدوارهم.

فمن أجل تفجير قصر الشتاء، عاش العامل **ستيبان خلتورين** هناك لأسابيع حياة العمال الملحقين بالقصر [16]، وكان **كاليف** مراقب بليهفي في بتروغراد حوذيا، وتمكن لينين و زينوفييف، المطاردان من قبل بوليس كرينسكي من الاختفاء في بتروغراد، فلم يكونوا يخرجون إلا و قد غيروا سحناتهم، فقد كان لينين عامل مصنع.

يخلق العمل غير القانوني مع الوقت، أخلاقا وعقلية، حيث يمكنك رؤية أفضل الضمانات ضد طرق البوليس.

فمن هم البوليس العباقرة؟ وأي خداع ماهر يمكن أن يقارن مع الثوريين، اللذين هم متيقنين من أنفسهم، حذرين، رزينين وشجعان خاضعين لشعار مشترك؟

مهما كان كمال الأساليب المستخدمة لمراقبتهم، ألن يكون هناك دائما في أفعالهم وحركاتهم مجهول متعذر معرفته؟

في المعادلات التي عمل عليها العدو بشق الأنفس، ألا يكون دائما هناك مجهول كبير مخيف؟ هل الخائن والجاسوس المتعقب هو من سيفكك الذكاء الثوري؟ من سيقيس قوة الإرادة الثورية؟ عندما يكون لدى المرء قوانين التاريخ ومصالح المستقبل والضرورات الاقتصادية والأخلاقية، التي تؤدي إلى الثورة.

عندما تعرف بوضوح ما لديك ولدى الخصم، عندما تكون قد اتخذت جانب العمل غير القانوني، عندما تثق في نفسك، وعندما تعمل فقط مع اللذين تثق فيهم، عندما

تعلم أن العمل الثوري يتطلب التضحية، وأن جميع بذور الإخلاص تؤتي ثمارها مئة ضعف، فأنت لا تقهر.

... إن الدليل على ذلك، أن آلاف سجلات الأوخرانا، ملايين ملفات جهاز المخابرات والرسومات الرائعة لفنييها، وأعمال علمائها، كل هذه الترسانة الرائعة، هي اليوم في أيدي الشيوعيين الروس.

لقد هرب "رجال الشرطة" في يوم من أعمال الشغب، من صياح هزء وسخرية الجماهير، وأولئك اللذين وقعوا في الفخ، اختفوا نهائيا في قنوات بتروغراد، وتم إطلاق النار [17] على معظم المسؤولين في الأوخرانا، وعانى جميع المحرضين، اللذين استطعنا تحديدهم من نفس المصير، ولدينا في يوم من الأيام القليل من أجل تنوير رفاقنا الأجانب، جمعنا على شكل نوع من المتحف، عددا ما من الأرشيف السري للأمن الامبراطوري ...

أقيم معرضنا في واحد من أكثر غرف قصر الشتاء جمالا، ويمكن للزوار أثناء الاقتراب من نافذة تقع بين عمودين من الميلاشيست (حجر أخضر) أن يتصفحوا من خلال كتاب الاعتقال، في قلعة "بيير و بول"، الباستيل المظلم للقيصر، في "القلعات القديمة، التي من خلالها يرون، من على الجانب الآخر من نهر نيفا، يرفرف العلم الأحمر.

إن أولئك اللذين رأوا ذلك، يعرفون أن الثورة قبل أن تنتصر بوقت طويل، هي ثورة لا تقهر.

مشكل اللا قانونية

ا ـ لا تنخدع

لن تكون المعرفة بأساليب وإجراءات الشرطة ذات فائدة عالية بدون رؤية واضحة لهذه المشكلة. كان تقديس الشرعية و سيبقى واحدا من أبرز سمات الاشتراكية المنحرفة في اتجاه التعاون الطبقي، بما يعني الإيمان بإمكانية تحويل النظام الرأسمالي دون الدخول في صراع مع محظوظيه، لا يتعلق الأمر هنا بمسألة إخلاص لا يتوافق مع عقلية السياسيين، بقدر ما هو مسألة ارتشاء القادة، فهم يوجدون في مجتمع يتظاهرون بمحاربته ويوصون باحترام قواعد اللعبة فيه، أما الطبقة العاملة فلا يمكنها احترام الشرعية البورجوازية إلا بشرط تجاهل الدور الحقيقي للدولة، والخاصية المخادعة للديموقراطية، باختصار، تجاهل المبادئ الأولية للصراع الطبقي.

إذا كان العامل يعلم، أن الدولة هي حزمة من المؤسسات، تهدف إلى الدفاع عن مصالح المالكين ضد غير المالكين، بما يعني، الحفاظ على استغلال العمال، فإن القانون الذي يفرضه الأغنياء على الفقراء، يطبق دائما بروح طبقية صارمة، وأن الإكراه – الذي يبدأ بأمر قضائي مسالم لضابط الشرطة و ينتهي عند صوت المقصلة، مرورا بمعتقلات الأشغال الشاقة والسجون المركزية – هو ممارسة ممنهجة للعنف الشرعي ضد المستغلين (فتح الغين)، منذ الآن فصاعدا، فإنه لا يمكن أن يعتبر الشرعية إلا كواقع، الذي يجب معرفة مظاهره وتطبيقاته وفخاخه ونتائجه ومزاياه أيضا ، والتي يجب، في بعض الأحيان معرفة كيفية الاستفادة منها، لكن، والتي لا يجب أبدا أن تكون بالنسبة لطبقتها أكثر من مجرد عقبة مادية بحتة.

هل علينا أن نبرهن على هذه الخاصية وهي معاداة البروليتاريا لكل شرعية بورجوازية؟ ربما.

في معركتنا غير المتكافئة ضد العالم القديم، يجب تكرار أبسط البراهين كل يوم، ويكفي التذكير الموجز بعدد من الوقائع المعروفة جيدا.

في جميع البلدان، كان على الحركة العمالية أن تغزو نتيجة كفاح طويل لأكثر من نصف قرن، حق الائتلاف والإضراب، فلا زال هذا الحق محل نزاع في فرنسا نفسها، للموظفين وعمال شركات المرافق العامة (هذا إذا لم تكن كلها!) مثل عمال السكك الحديدية. ففي النزاعات بين الرأسمال والعمل، غالبا ما تدخل الجيش ضد العمل وليس ضد الرأسمال، وأمام المحاكم يكاد يكون من المستحيل الدفاع عن الفقراء بسبب تكاليف الإجراءات القانونية، في الواقع لا يمكن للعامل إقامة دعوى قضائية ولا دعم محاكمة – ترتبط الغالبية العظمى من الجرائم والجنح مباشرة بالبؤس وتدخل ضمن نوع من الهجمات على الممتلكات، والغالبية العظمى من نزلاء السجون هم من الفقراء –

غداة الحرب، كان هناك الاقتراع المقيد في بلجيكا، حيث كان الرأسمالي والكاهن والضابط والمحامي، كل واحد منهم يوازي أصوات عاملين أو ثلاثة عمال حسب الحالة.

في هذا الوقت الذي نكتب فيه، يتم الحديث عن استعادة حق الاقتراع في إيطاليا. إن احترام هذه الشرعية معناه الانخداع بها. إن احتقارها ليس أقل كارثية، فمزاياها بالنسبة للحركة العمالية، هي أكثر واقعية، حتى لا ننخدع.

إن الحق في الوجود والعمل القانوني بالنسبة لمنظمات البروليتاريا، يجب استعادته وتوسيعه باستمرار، ونؤكد على هذا، لأن الانحراف المعاكس لتقديس الشرعية، يتجلى أحيانا عند الثوار ذوي الميول الجيدة، من خلال نوع من الاتجاه إلى ممارسة أقل جهد في السياسة – إنه من السهل التآمر بدلا من توجيه عمل جماهيري -

بالنسبة إلى ازدراء نوع معين للعمل القانوني، يبدو لنا أنه في البلدان التي لم تنتصر فيها الرجعية عبر تمزيق الدساتير الديموقراطية السابقة، سيتعين على العمال الدفاع عن وضعهم القانوني بالعض على النواجذ، وفي بلدان أخرى عليهم النضال من أجل استعادته. في فرنسا نفسها، يجب توسيع الشرعية التي تتمتع بها الحركة العمالية، ولن يتم توسيعها إلا بالنضال. لا يزال موظفو الدولة وفئات معينة من العمال ينكرون عنهم أو يعترضون عليهم فيما يخص حق الائتلاف والإضراب، وحق التظاهر هو أقل بكثير مما هو عليه في الدول الانجلوسكسونية، وما زالت مجالس

الدفاع العمالي، كما في ألمانيا والنمسا لم تفز بالشرعية والشارع.

II ـ تجربة ما بعد الحرب: لا يجب الاستسلام للمفاجأة.

لقد سبق وأن رأينا، خلال الحرب (ح ع 1) كيف أن جميع حكومات الدول المتحاربة استبدلت المؤسسات الديموقراطية بالدكتاتورية العسكرية (حالة الحصار، القمع العملي لحق الإضراب، تأجيل المجالس وتعطيلها والقدرة الكلية للجنرالات ونظام مجالس الحرب). لقد وفرت لهم الحاجات الاستثنائية للدفاع الوطني تبريرا معقولا:

منذ ما بعد الحرب، ضربت الموجة الحمراء المنطلقة من روسيا أوروبا، و مزقت جميع الدول الرأسمالية تقريبا - المتحاربة هذه المرة من الحرب الطبقية – المهددة من قبل الحركة العمالية ك "خرق من الورق" نصوص تشريعاتها، التي كانت مقدسة في السابق ... وصهرت دول البلطيق (فلندا، إستونيا، ليتوانيا و لاتفيا) و بولونيا ورومانيا ويوغوسلافيا، ضد الطبقة العاملة، قوانين مجرمة خالية من أي نفاق ديموقراطي، وتستكمل بلغاريا آثار تشريعاتها المجرمة بالعنف خارج نطاق القانون، وأقنعت هنغاريا وإيطاليا وإسبانيا نفسها بإلغاء كل تشريعاتها فيما يتعلق بالعمال والفلاحين، ولأنها أكثر ثقافة وأكثر تنظيما، فقد أقامت ألمانيا عندها، بدون اللجوء إلى قوانين استثنائية، نظاما، نقترح أن نسميه الإرهاب القضائي والبوليسي [18]، وطبقت الولايات المتحدة الأمريكية فجأة قوانين حول "النقابية المجرمة"، التخريب و ... التجسس، فآلاف العمال تم سجنهم في و. م. أ بموجب قانون التجسس، الذي تم سنه خلال الحرب ضد الرعايا الألمان، اللذين يعيشون في أمريكا، وتبقى في أوروبا فقط، الدول السكندينافية وإنجلترا وفرنسا وبعض الدول الصغيرة، حيث لا تزال الحركة العمالية تتمتع بمزايا الشرعية الديموقراطية.

يمكننا أن نقول دون أدنى خوف من أن تكذب الأحداث قولنا، أنه في أول أزمة اجتماعية خطيرة حقا، سيتم سحب

هذه الميزة على الفور وبقوة، والقرائن الدقيقة تفرض نفسها أمامنا.

في نونبر 1924، أجريت الانتخابات البريطانية ضمن حملة مناهضة للشيوعية، قدمت فيها رسالة مزيفة من زينوفييف، وزعم أنها موجهة إلى الحزب الشيوعي الإنجليزي، اعترضتها غرفة سوداء الحجج الرئيسية.

في فرنسا، في العديد من المرات طرحت قضية حل س. ج. ت، إذا تذكرنا ذلك جيدا، من الممكن أن يكون هذا الحل نفسه قد تم الإعلان عنه رسميا، وذهب السيد **برياند** في ذلك الوقت لكسر إضراب السكك الحديدية، حد التعبئة – غير القانونية- ضد عمال السكك الحديدية. ولا تنتمي الكليمانصية (نسبة لكليمانصو) إلى ما ض بعيد جدا، وأن **بوانكريه** أثناء احتلال الروهر، قد أبان عن ميل واضح إلى حد ما لتقليده. ومع ذلك، بالنسبة للحزب الثوري، أن يفاجأ بالخطر، فهذا يعني أن يختفي، بينما أن تكون مستعدا لعدم الشرعية، فهو أن تكون متأكدا من النجاة من جميع التدابير القمعية. هناك ثلاثة أمثلة ملفتة للنظر مأخوذة من التاريخ الأحدث:

1) أن يترك حزب شيوعي كبير نفسه يؤخذ بالمفاجأة بوضعه خارج عن القانون: الحزب الشيوعي ليوغوسلافيا، حزب الجماهير، كان عدد أعضائه سنة 1920 أكثر من 120 ألف عضوا و60 نائبا في سكوبتشينا، تم حله سنة 1921 بتطبيق قانون دفاع الدولة، وكانت هزيمته قوية وكاملة فاختفى من المشهد السياسي [19].

2) حزب شيوعي لم يفاجأ إلا نصف مفاجأة، فقد كان الحزب الشيوعي الإيطالي منذ ما قبل مجيء موسوليني إلى السلطة، مجبرا، بسبب الاضطهاد الفاشي إلى التواجد أكثر في ظل وضع شبه قانوني (إلى أكثر من شبه وجود قانوني). كان هناك قمع وحشي – اعتقال 4000 عامل في الأسبوع الأول من فبراير 1923 – لم ينجح في أي وقت من الأوقات في تحطيم الحزب الشيوعي الإيطالي، الذي - على العكس – تقوى وتطور، منتقلا من 10 آلاف عضوا سنة 1923 إلى حوالي 30 ألف عضو في بداية 1925.

3) لم يتفاجأ حزب شيوعي كبير بأي حال من الأحوال، ففي نهاية 1923، بعد الاستعدادات الثورية في أكتوبر وانتفاضة هامبورغ، تم حل الحزب الشيوعي الألماني من قبل الجنرال

فونسيكت، محروما لوقت طويل من منظمات مرنة، وواصل مع ذلك وجوده الطبيعي. سيكون على الحكومة قريبا أن تتراجع على إجراء توضح بجلاء أنه بدون جدوى، وخرج الحزب الشيوعي الألماني من اللا قانونية بقوات بالكاد بدأت لكي تقطف في انتخابات1924 أكثر من 3 مليون ونصف من الأصوات.

III ـ حدود العمل الثوري القانوني

من جهة أخرى، فإن الشرعية القانونية في الديموقراطيات الرأسمالية الأكثر "تقدما" لها حدود، حيث لا يمكن للبروليتاريا احترامها بدون أن يحكم عليها بالفشل، فهي لا تتسامح مع الدعاية داخل الجيش التي هي ضرورة حيوية، فبدون انشقاق على الأقل جزء من الجيش فلا انتصار لثورة. إنه قانون التاريخ. في أي جيش بورجوازي، يجب على الحزب البروليتاري أن يولد ويزرع التقاليد الثورية وتكون له منظمات متفرعة ومثابرة في العمل وأكثر يقظة من العدو. إن الشرعية الأكثر ديموقراطية لن تتسامح بعد الآن مع وجود لجان العمل، حيث تكون هناك حاجة إليها على وجه التحديد: في نقاط السكك الحديدية وفي الموانئ وفي مستودعات الأسلحة وفي مراكز الطيران. إن الشرعية الأكثر ديموقراطية لن تتسامح مع الدعاية الشيوعية في المستعمرات، والدليل على ذلك اضطهاد السلطات الإنجليزية للمناضلين الهنود والمصريين، وكذلك نظام المضايقة البوليسي الذي وضعته السلطات الفرنسية في تونس، وأخيرا، ومن نافلة القول، أنه يجب إبعاد خدمات الاتصال الدولية في جميع الأوقات عن فضول "الأمن العام". لا أحد ساند بعناد أكثر من لينين في وقت تأسيس الحزب البلشفي الروسي، وفي وقت لاحق عندما تأسست الأحزاب الشيوعية الأوروبية، الحاجة إلى تنظيم ثوري غير شرعي، ولا أحد حارب التقديس النمطي للشرعية أحسن منه.

في المؤتمر الثاني للحزب الاشتراكي الديموقراطي العمالي الروسي (بروكسيل – لندن 1903)، أصبح الانقسام بين المناشفة والبلاشفة أكثر تحديدا فيما يتعلق بمسألة

التنظيم غير القانوني. كانت مناقشة الفقرة 1 من النظام الأساسي فرصة لذلك. لقد أراد مارتوف، الذي سيصبح زعيم المناشفة لمدة 20 عاما، منح عضوية الحزب لأي شخص قدم خدمة للحزب (تحت مراقبة الحزب)، أي في الحقيقة إلى المتعاطفين، اللذين كانوا كثيرين في الأوساط الفكرية، التي لا تسعى إلى التورط حد التعاون في العمل غير القانوني.

دافع لينين بحزم وبدون مساومة عن فكرة على أن من يريد الانتماء إلى الحزب، عليه أن "يشارك في العمل في إحدى منظماته" (غير القانونية). لقد بدت هذه المناقشة كما لو أنها مجرد مماحكة حول التفاصيل، لكن لينين كان على حق إلى حد كبير. نحن لسنا نصف ثوريين أو ثلث ثوريين، يجب على حزب الثورة أن يستخدم بالتأكيد، كل المساعدات، ومع ذلك، لا يمكنه الاكتفاء، من جهة أعضائه بتعاطف واسع، سري، لفظي وغير نشط (لا يمكن أن يكون راضيا عن التعاطف الغامض والسري واللفظي غير النشط من أعضائه)، أولئك اللذين لا يوافقون على المخاطرة لصالح الطبقة العاملة بوضعيتهم المادية المميزة، يجب ألا يسمح لهم بممارسة تأثير كبير داخله. لقد كان الموقف من عدم الشرعية بالنسبة للينين، المحك المستخدم لتمييز الثوريين الحقيقيين عن الآخرين [20].

IV ـ الشرطة الخاصة

هناك عامل آخر يجب أن يؤخذ بعين الاعتبار أيضا، وهو وجود شرطة خاصة خارجة عن القانون، قادرة على مد البورجوازية بأسلحة إضافية ممتازة. خلال الصراع العالمي تم صنع أجهزة مخابرات "العمل الفرنسي" بنجاح، كان ذا تأثير على مزودي كليمانصو بنصائح الحرب. نحن نعلم أن **ماريوس بلاتو** كان على رأس الشرطة الخاصة ل "الأنتي فرانس". من جهة أخرى كرس أحدهم يسمى **م. جان ماكس** نفسه كجامع "دفاتر الأنتي فرانس" للتجسس على الحركات الطليعية [21].

من المحتمل جدا أن تكون للتشكيلات الرجعية المستوحاة من العصبة (الحزمة) (فاشيو) الإيطالية جميعها مصالح للتجسس وشرطة، وفي ألمانيا، تركزت القوات الحيوية للرجعية منذ نزع السلاح الرسمي للبلاد في منظمات أكثر من نصف سرية. لقد فهمت الرجعية أنه حتى بالنسبة للأحزاب المساندة من طرف الدول، فإن السرية مصدر ثمين.

ضد البروليتاريا، فمن نافلة القول، أن كل هذه المنظمات تتولى بشكل أو بآخر مهام قوة الشرطة الخفية، وفي إيطاليا، لا يكتفي الحزب الفاشي بشرطة الدولة، بل له أيضا مصالح التجسس ومكافحة التجسس الخاصة به، لقد نشر مخبريه وعملائه السريين واستفزازييه وأتباعه في كل مكان، وكانت هذه المافيا البوليسية والإرهابية هي التي "صفت" **ماتييوتي** بعد آخرين كثيرين ...

في الولايات المتحدة الأمريكية، كان تورط الشرطة الخاصة في نزاعات العمل والرأسمال قد بلغ مدى مخيفا، فقد كانت مكاتب المحققين الخاصين المشهورين، تزود طواعية الرأسماليين بمخبرين سريين استفزازيين ذوي خبرة، وقناصين جيدين وحراس ومراقبين و "مناضلين نقابيين" فاسدين حسب الرغبة، فلدى شركة **بنكيرتوف** و **بوريس** و **تييل** 100 مكتب و حوالي10 آلاف فرع يوظفون كما يقال 135 ألف شخصا يزيد إيرادهم الشهري عن 65 مليون دولار ، لقد أسسوا التجسس الصناعي والتجسس في المصنع وفي ورشة العمل و ورشة البناء وفي المكتب، يعني، في كل مكان يعمل فيه المأجورون (العمال)، لقد خلقت نوعا من العامل المخبر [22]، وقد كان هناك نظام مماثل يعمل في جامعات ومدارس الديموقراطية العظيمة التي غناها **والت ويتمان** ...

٧- خلاصات

دعونا نلخص:

لقد علمتنا دراسة آلية الأوخرانا أن الهدف المباشر للشرطة هو أن تعرف أكثر بكثير من أن تقمع، أن تعرف من أجل أن تقمع في الوقت المحدد وإلى الحد المطلوب، إن لم يكن بشكل كامل. أمام هذا العدو المتسلط والقوي والمتخفي، فإن حزبا عماليا يفتقر لتنظيم سري، حزب لا يخفي شيئا، يجعل المرء يفكر في رجل منزوع السلاح، بدون مأوى، وتحت رحمة بندقية بيد مسلح محمي جدا.

إن جدية العمل الثوري، لا يمكن أن تتلاءم مع بيت من زجاج، يجب على حزب الثورة أن ينظم نفسه بطريقة يفلت منها قدر الإمكان من مراقبة العدو، بطريقة ترمي إلى إبعاد أنشطته الأكثر أهمية عنه بطريقة، بحيث في البلدان التي ما زالت ديموقراطية، ألا تكون تحت رحمة انقلاب على يمين البورجوازية، أو إعلان حرب [23] وبطريقة يتم فيها غرس عادات عند رفاقنا تتفق مع هذه الضرورات.

الفصل الثالث

نصائح بسيطة للمناضل

يصف البلاشفة الكبار أنفسهم طواعية بأنهم "ثوار محترفون". بالنسبة لجميع العمال الحقيقيين، المساهمين في التغيير الاجتماعي، فإن هذه التسمية ملائمة تماما، إن هذا التصور يستثني من النشاط الثوري حركة الهواة والرياضة [...] إنه يضع المناضل بشكل لا رجعة فيه في عالم العمل، حيث لا توجد مسألة "مواقف" أو استعمال، بهذا القدر أو ذاك من الأهمية الترفيه ولا المتعة الأخلاقية والروحية لإعلان الآراء "المتقدمة".

تملأ المهنة (أو الوظيفة) معظم حياة أولئك اللذين يعملون، إنهم يعرفون أنه أمر جدي، يعتمد عليه الخبز اليومي، إنهم يعرفون أيضا، بشكل أو آخر عن وعي، أن الحياة الاجتماعية بأكملها ومستقبل الناس بأكمله يعتمد عليها.

يتطلب الاحتراف الثوري تعلما طويلا، ومعرفة فنية بحثة وحب المهام، كما يتطلب فهم القضية، و الغايات والوسائل. هذا، وكما هو في أغلب الحالات، إذا ما تداخلت الممارسة – من أجل العيش – مع مهنة أخرى، فالممارسة هي التي تملأ الحياة، وتبقى الأخرى مجرد ملحق.

لقد استطاعت الثورة الروسية أن تنتصر، لأن 25 سنة من العمل السياسي شكل لها فرقا قوية من الثوريين المحترفين، مستعدين لإنجاز عمل خارق وجبار.

يجب أن تكون هذه التجربة، وهذه الحقيقة في ذهن أي ثوري جدير بهذا الاسم باستمرار، في التعقيد الحالي للحرب الطبقية، يستغرق الأمر سنوات من الجهود والمشقات والدراسات والإعداد الواعي لتكوين مناضل.

كل عامل تحركه رغبة ألا يكون داخل الجماهير المستغلة عابرا غير ذي أهمية، ولكن لخدمة طبقته والعيش حياة أرقى، من خلال المشاركة في تغيير المجتمع، يجب أن يسعى جاهدا لأن يكون –على قدر الإمكان مهما كان ضعيفا – هو أيضا محترف ثوري ...

وفي العمل داخل الحزب والنقابة أو الجماعة، يجب عليه على وجه الخصوص- هذا ما يشغلنا اليوم – أن يكون أكثر حذرا تجاه المراقبة البوليسية، حتى وإن كانت غير مرئية، حتى غير مؤذية، كما يبدو في فترات الهدوء، وذلك لأجل إحباطها.

إن التوصيات التالية، يمكن أن تساعد على ذلك، إنها لا تشكل بالتأكيد قانونا كاملا للسرية ولا حتى للحذر الثوري، فلا توجد هناك أي وصفة مثيرة، فهذه مجرد قواعد أولية، سيكون الحس السليم كافيا لاقتراحها، وإن كانت التجارب تشير – لسوء الحظ – أنه ليس من غير الضروري إدراجها، فلطالما كان تهور الثوار هو أفضل مساعد للشرطة.

1 ـ المراقبة (التعقب واقتفاء الأثر)

إن اقتفاء الأثر وتتبع المناضل، هي أساس كل المراقبات، وغالبا ما يكون من السهل دائما خداع المراقب، ويجب ألا

يعتبر كل مناضل نفسه باستمرار أنه مراقب، كما لا يجب من حيث المبدأ أبدا، التوقف عن اتخاذ الاحتياطات اللازمة.

لتجنب المراقبة في المدن الكبرى التي تكون فيها حركة المرور كثيفة، حيث تتنوع وسائل المواصلات، فنجاح المراقبين يرجع حصرا إلى عدم الاحتياط المدان للرفاق.

إن أبسط القواعد هي:

لا تذهب مباشرة إلى وجهتك، قم بإجراء التفاف عبر شارع به حركة مرور قليلة، للتأكد من عدم تتبعك (السير وراءك)، في حالة الشك، قم بالرجوع من حيث أتيت (عد أدراجك).

استعمل وسيلة نقل وغيرها.

ليس من الصعب "زرع" مراقبين في مدينة صغيرة، لكن ترصدهم يفقد جزءا كبيرا من قيمته عندما يصبح واضحا.

كن حذرا من الصورة المسبقة "للعميل في زي البورجوازي" فله في كثير من الأحيان سحنة مميزة إلى حد ما، لكن المراقبين الجيدين يعرفون كيف يتكيفون مع تنوع مهامهم، يمكن أن يكون أحد المارة العاديين، عامل ببذلة، بائع متجول، سائق، وجندي من ضباط الشرطة.

توقع استعمال النساء والشباب والأطفال في المراقبات، فنحن نعلم بتعميم من الشرطة الروسية، أنه يوصى بتعيين أطفال المدارس في المهام التي لن يكملها العملاء دون ملاحظتهم.

الحذر أيضا من العادة المزعجة، المتمثلة في رؤية أي مار على أنه مخبر.

2 ـ المراسلات والملاحظات (الإشارات)

اكتب أقل قدر ممكن، ومن الأفضل لا تكتب، لا تدون ملاحظات حول مواضيع حساسة: من الأفضل أحيانا نسيان أشياء معينة بدلا من تدوينها ... وتحقيقا لهذه الغاية، تدرب على تذكر العناوين، خاصة أرقام الشوارع، باستخدام منشطات الذاكرة.

استعمال المفكرة (دفتر الملاحظات)

إذا لزم الأمر، قم بتدوين ملاحظات غير مفهومة لأي شخص آخر غير نفسك، كل واحد يخترع أساليب اختصاراته (الصيغ المختصرة)، قم بقلب الأرقام وتبديلها بالحروف (24 تعني 42، 1 تعني ج، ج تعني 1، الخ... قم بإعطاء الأسماء للشوارع والأماكن وما إلى ذلك بنفسك لتقليل فرص الخطأ، استخدم تجميع الأفكار، مثلا (زنقة لونوار تصبح لونيغرو) زنقة لوبيك تصبح قنفذ أو دبوس وما إلى ذلك ...).

بالنسبة للرسائل:

في المراسلات، ضع في اعتبارك وجود الغرفة السوداء، قل الحد الأدنى لما يجب قوله، في حدود ما يمكن أن يفهمه سوى المرسل إليه فقط، لا تذكر طرفا ثالثا دون داع، تذكر أن الاسم الشخصي أحسن من الاسم العائلي، وحرف أول- اتفاقي خاصة - أحسن من الاسم الشخصي كاملا.

تنويع التحديدات المتفق عليها

احذر من جميع التفاصيل (المكان، الوظيفة، التاريخ، الصفة (الشخصية) الخ. تعرف على كيفية استخدام الحيل حتى بدون موافقة مسبقة، والتي يجب أن تكون دائما بسيطة للغاية وتتفيه المعلومة. لا تقل مثلا "تم القبض على الرفيق بيير "لكن" العم بيتر أصيب بالمرض فجأة ...). بالإمكان تلقي المراسلات عند طرف ثالث.

يجب إخفاء الرسائل بعناية، لا تعتبر أختام الشمع ضمانة مطلقة، وجعلها رقيقة جدا، فالأغلظ منها أسهل في الإزالة، والعملية الجيدة إلى حد ما هي خياطة الرسالة على ظرف الظهر، وتغطية الخيط بختم أنيق من الشمع.

لا تنس أبدا: **"أعطني ثلاثة أسطر من خط يد شخص وسأشنقه"** تعبير عن بديهية مألوفة للبوليس جميعه.

3 ـ السلوك العام

- احذر من الهواتف، فلا شيء أسهل من مراقبتها، فالمحادثة الهاتفية عبر جهازين المتاحين للجمهور (المقاهي، الأجهزة الأوتوماتيكية ومحطات القطار) لديها عدد أقل من العيوب. حدد موعدا عبر الهاتف فقط بالمصطلحات الاتفاقية (المتفق عليها).
- يجب معرفة المواقع جيدا، وقم بدراستها، وإذا لزم الأمر قم بذلك مسبقا على خريطة، ا حفظ المنازل والممرات والأماكن العامة (المحطات (القطار) والمتاحف والمقاهي والمتاجر الكبرى) التي تتوفر على الجيد من المخارج.
- في مكان عام بالقطار، في موعد خاص، خذ بعين الاعتبار إمكانات المراقبة، ولهذا الغرض في حالة الإضاءة، حاول أن ترى (بفتح التاء) جيدا ولا ترى برفع التاء) جيدا، ومن المعقول عند الجلوس، أن تكون باتجاه الشمس بشكل أفضل، ترى أحسن ولا تكون مرئيا، وليس معقولا أن تعرض نفسك أمام النافذة.

4 ـ بين الرفاق

ضع كمبدأ، أنه في العمل غير القانوني، لا يجب على المناضل أن يعرف إلا ما هو صالح لمعرفته، وأنه من الخطر في كثير من الأحيان معرفة أو تقاسم معرفة وأكثر: كلما كانت المعرفة بعمل أقل، كلما وفر الأمن وفرص النجاح.
احذر من الاهتمام بالأسرار، ومعرفة كيفية التزام الصمت، فالتزام الصمت هو واجب تجاه الحزب وتجاه الثورة.
يجب معرفة كيفية تجاهل ما لا يجب أن يعرفه المرء طواعية.
من الخطأ، الذي يمكن أن يصبح خطيرا أن تستأمن صديقا حميما أو زوجا أو رفيقا الأكثر أمانا سر الحزب، الذي ليس من الضروري أن يعرفه، يكون في بعض الأحيان ضرر تجاههم، لأننا مسؤولين عما نعرفه، ويمكن أن تكون هذه المسؤولية ثقيلة.

لا تصدم أو تنزعج من صمت الرفيق، إنها ليست دلالة على انعدام الثقة، بل على احترام أخوي والوعي – الذي يجب أن يكون مشتركا- بالواجب الثوري.

5 ـ في حالة الاعتقال

حافظ بشكل مطلق على برودة أعصابك، ولا تسمح لنفسك بتخويفك أو استفزازك. لا تجيب على أي استنطاق بدون أن تكون معضدا بمحام، وقبل التحدث معه، والذي يجب أن يكون رفيقا من الحزب، أو، إذا تعذر ذلك، دون التفكير في الأمر بعناية.

لقد كانت جميع الصحف الثورية الروسية، تحمل في السابق هذه التوصية الثابتة بخط عريض:

"أيها الرفاق لا تقدموا أدلة! لا تقولوا شيئا!"، من حيث المبدأ لا تقل شيئا، وأن تبرر سلوكك أمر خطير، فنحن في أيدي مهنيين (محترفين) قادرين على الاستفادة من أدنى كلمة، فأي "تفسير" يوفر لهم توثيقا غنيا.

إن الكذب أمر خطير للغاية، فمن الصعب بناء نظام بدون عيوب واضحة للغاية، يكون من المستحيل الارتجال، لا تحاول اللعب في النهاية، فعدم تكافؤ القوى كبير جدا.

يكتب ذوي السوابق على جدران السجون هذه التوصية القوية، التي يمكن للثوري أن يستفيد منها:

"لا تعترف أبدا!"

عندما تنكر، تنكر بشكل لا يتزعزع، واعلم أن الخصم قادر على كل شيء [(24)].

لا تندهش أو تفاجأ من: **"نحن نعرف كل شيء!"** فهذا غير صحيح أبدا، إنه كليشيه وقح يستخدمه البوليس وجميع قضاة التحقيق لجميع المتهمين.

لا ترتعب من التهديد القديم: **"سيكلفك غاليا"**، يمكن بالفعل للاعترافات والتفسيرات الخرقاء والسقوط في

المصيدة ولحظات الذعر أن تكلف غاليا، لكن مهما كانت حالة المتهم، فلا يمكن لدفاع صارم ومغلق، الذي يكون بكثير من الصمت وقليل من الإنكار والتأكيدات إلا أن تعمل على تحسينه. لا تصدق ذلك – إنها حجة كلاسيكية- إذا قيل لك: **"نحن نعرف كل شيء عن طريق صديقك كذا وكذا"**، لا تصدق ذلك، حتى وإن حاولوا إثبات لك ذلك، من خلال بعض الأدلة التي تم جمعها بذكاء، من السهل على العدو أن يتظاهر بأن لديه معرفة شاملة بالأشياء.

حتى وإن كان أحدهم قد قال: **"قال كل شيء"** فلن يكون ذلك إلا سببا آخر لمضاعفة الحذر، حافظ على هدوئك، ولا تظهر أنك تفاجأت، ومرة أخرى: لا تقل شيئا.

لا تقم بتوقيع مستند دون قراءته بعناية وفهم واضح، وعند أدنى شك، ارفض التوقيع. إذا كان الاتهام مبنيا على التزوير – وهو أمر شائع - فلا تكن ساخطا: بل دعه يدفن نفسه قبل تدميره. لا تفعل شيئا آخر دون مساعدة المحامي، الذي يجب أن يكون رفيقا.

6 ـ أمام البوليس والقضاة

لا تستسلم لنزعة غرستها التربية المثالية البورجوازية لتأسيس "الحقيقة" أو إعادة تأسيسها، فلا توجد حقيقة مشتركة في الصراع الاجتماعي بين الطبقات المستغلة والطبقات المستغلة. لا توجد حقيقة – لا صغيرة ولا كبيرة- غير شخصية، عليا تحلق فوق الحرب الطبقية. بالنسبة للطبقة الغنية، فالحقيقة هي حقها: في الاستغلال والنهب وسن القوانين، ومطاردة أولئك اللذين يريدون مستقبلا أفضل، لضرب، بلا رحمة حاملي وعي طبقة البروليتاريا. إن الحقيقة عندها تسميها الكذبة المفيدة، حقيقة علمية كما يقول سوسيولوجيوها، أبدية الملكية الخاصة (الملغاة من طرف السوفيات).

إن الحقيقة القانونية، هذه الكذبة الشنيعة: مساواة الفقراء والأغنياء أمام القانون، الحقيقة الرسمية، حياد العدالة، سلاح طبقة ضد الآخرين. حقيقتهم ليست حقيقتنا.

أمام قضاة الطبقة البورجوازية، فالمناضل غير ملزم بتقديم أي حساب عن أفعال، ولا احترام لما سمي حقيقة (حقيقة مزعومة)، إن الإكراه هو ما أتى به أمامهم، إنه يتعرض للعنف، ويجب أن يكون همه الوحيد هنا أيضا خدمة الطبقة العاملة، فلأجلها يمكن أن يتكلم مما يجعله في قفص الاتهام، متهما (بكسر الهاء) لا متهما (بفتح الهاء)، ومن أجلها يجب أن يعرف كيف يصمت، أو الدفاع عن النفس بشكل مفيد لاستعادة حرية التصرف. نحن مدينون بالحقيقة إلى إخواننا ورفاقنا، لطبقتنا ولحزبنا.

أمام القضاة أو الشرطة، لا تنسوا أبدا أنهم خدام الأغنياء والمسؤولين عن المهام البغيضة:

-إذا كانوا الأقوى، فإننا مع ذلك، نحن اللذين دون تحفظ، لنا الحق ضدهم.

– إذا كانوا يدافعون بخنوع عن نظام ظالم وضار ومدان حتى من محكمة التاريخ، فنحن نعمل من أجل القضية الكبرى الوحيدة في هذا الوقت: تغيير العالم عن طريق تحرير العمل.

7 ـ الإبداع وحضور البديهة

يتطلب تطبيق هذه القواعد صفة، يجب أن يسعى جميع المناضلين إلى زراعتها: إنها: الإبداع:

... رفيق يذهب إلى منزل خاضع للمراقبة إلى شقة تقع في الطابق الرابع، بمجرد أن صعد الدرج، تبعه ثلاثة من الأشخاص بسحنة شاحبة إلى هناك، ذاهبون إلى نفس المكان، فعلى الرفيق أن يتوقف في الطابق الثاني ويقرع باب الطبيب ويستفسر عن ساعات الاستشارة، يكون المراقبون (الشرطة) قد مروا.

إذا كان الثوري مطاردا في أحد شوارع بتروغراد، وعلى وشك أن يمسك به الجمهور، يرجع فجأة إلى عتبة باب ثم يلوح بجسم أسود في قبضته، ويصرخ "احذروا القنبلة!" فيتحرك المطاردون إلى الوراء، ويختفي المطارد في الممر، وإذا كان

للمنزل مخرجان، يهرب، والقنبلة لم تكن إلا قبعته ملفوفة ككرة!

في بلد تحظر فيه جميع الأدبيات الشيوعية، يدخل بائع الكتب مذكرات جون روكفلر: "كيف أصبحت ملياردير‌ا"، ابتداء من الصفحة الرابعة، يوجد نص لينين: "على طريق الانتفاضة".

8 ـ أقصى التوصيات

الحذر من هوس المؤامرات ومن مظهر الاطلاع والمعرفة، والمظاهر الغامضة والتهويل من أشياء بسيطة، ومن المواقف "التآمرية". إن أعظم فضيلة لدى الثوري هي البساطة وحتى ازدراء الظهور بمظهر ... "ثوري"، وقبل كل شيء تآمري.

الفصل الرابع

مشكلة القمع الثوري

ا ـ الرشاش، آلة الكتابة، أو ...؟

- ما رأيك بالرشاش؟ ألا تفضل آلة كاتبة أو كاميرا؟

إن الناس الصادقين، اللذين يفتخرون بالسوسيولوجيا يطرحون أحيانا، فيما يتعلق بحقائق الثورة أسئلة من هذا ... العيار.

هناك من يدين بحماسه كل عنف، كل دكتاتورية، فهم لا يؤمنون بوضع حد للقمع والبؤس والدعارة والحروب إلا بالتدخل الأدبي خاصة، أي بتدخل العقل، لأنهم في الحقيقة يتمتعون براحة ملحوظة في المجتمع كما هو، ويتموضعون

بغطرسة فوق العراك الاجتماعي، فهم يفضلون بشكل خاص الآلات الكاتبة على الرشاشات.

هناك آخرون، دون رفض العنف، يرفضون الدكتاتورية رسميا، وتبدو الثورة لهم على أنها معجزة خارقة، إنهم يحلمون بإنسانية، حيث أن سقوط روابطها، سيجعل السلام على الفور جيدا، يحلمون، على الرغم من التاريخ بالمصداقية والحس المشترك وأفعالهم الخاصة، ثورة شاملة، ليس فقط مثالية بدون شك، ولكن قصيرة وحاسمة ونهائية، بغد مشرق بمعنى طرية ومبهجة، طالما هذا المفهوم للصراع النهائي، يشبه إلى حد بعيد الأسطورة الرسمية ل "الحرب الأخيرة" المتخيلة عام 1914 من طرف البورجوازيات الحليفة. لا فترة انتقالية، لا دكتاتورية البروليتاريا ("ضد كل الدكتاتوريات")، لا قمع بعد انتصار العمال، لا محاكم ثورية، لا تشيكا! وفوق كل شيء – وخاصة أيتها الآلهة العظيمة! لا تشيكا! - لا مزيدا من السجون ... الدخول بسهولة إلى المدينة الشيوعية الحرة، يتم الوصول إليها مباشرة بعد العاصفة، إلى جزر فورتوني. يفضل ... هؤلاء الثوريون – إخواننا الليبراليون – أكاليلا من الورود، الورود الحمراء على المدفع الرشاش.

يصرح أخيرا النوع الثالث، أنه من الضروري في الوقت الحالي ترك احتكار استخدام المدفع الرشاش للفئات الفتية ومحاولة حثها بلطف، عن طريق الإقناع، على التخلي عنها ... في انتظار ذلك، يكلفون أنفسهم عناء لا ينتهي لكي يحصلوا من المؤتمرات الدولية على تقنين الطلقات الفائقة السرعة، ويبدو على أنهم انقسموا إلى فئتين: أولئك اللذين يفضلون بصدق، استخدام الرشاش على السجادة الخضراء، وأولئك اللذين، هم عمليون وخالون من الأوهام، يفضلون عنه (أي في أعماق دواخلهم) غازات خانقة. في الحقيقة، لا أحد – ما عدا، من الممكن، بعض صانعي الأسلحة والذخيرة - لديه ميل خاص للمدفع الرشاش، لكن الرشاش موجود، إنها حقيقة.

عند الأمر بالتعبئة، لدينا خيار أن نكون أمام هذه الحقيقة أو وراءها، لخدمة آلة القتل الرمزية أو نكون هدفا لها. إننا نوصي العمال بحل ثالث: خذ أداة القتل وحولها تجاه أولئك اللذين صنعوها، لقد قال البلاشفة الروس منذ 1915:

"حولوا الحرب الامبريالية إلى حرب أهلية": كل ما سبق أن قلناه عن المدفع الرشاش، ينطبق على الدولة وجهازها الإكراهي: السجون والمحاكم والشرطة والأجهزة الأمنية. **إن الثورة ليس لها خيار في الأسلحة، فهي تلتقط من ساحتها الدموية، التي زورها التاريخ، تلك التي سقطت للتو من أيدي طبقة حاكمة مهزومة.**

بالأمس كانت البورجوازية بحاجة إلى أداة إكراه ثقيلة لقهر المستغلين، واليوم يجب على البروليتاريين والفلاحين، لكسر المقاومة القصوى للمستغلين، اللذين انتزعت منهم ممتلكاتهم، لمنعهم من استعادة السلطة، ومن أجل إجبارهم على التنازل الدائم عن الامتيازات، التوفر على جهاز قمع قوي.

لا يختفي المدفع الرشاش، بل ينتقل من يد إلى يد أخرى، وليس من المناسب تفضيل المحراث عليه ... ولكن دعونا مع ذلك نحذر من المجازات والقياسات التبسيطية.

لا يمكن تعديل خصائص المدفع الرشاش مهما كان الاستخدام الذي يستخدمه المرء، قم بتثبيته، مكتوما بإشارة على ورق مقوى، في متحف، وليستخدم بشكل غير مؤذ ... في التمارين المدرسية، أو مسترا في ثقب قذيفة، يتم استخدامها بين يدي مزارع بوصروني (نسبة إلى بوص، وهي منطقة زراعية فرنسية) لتثقيب لحم إخوته من مزارعي الويستفالين، أو تثبيت هذا الرشاش على عتبة قصر مصادر يجبر الثورة المضادة على الاحترام، لا برغي ولا مسمار يتغير منه.

على العكس من ذلك، فإن مؤسسة تتغير حسب الناس، وأكثر من ذلك بشكل لا نهائي، حسب الطبقات التي تستعملها.

كان جيش الملكية الإقطاعية، قبل الثورة الفرنسية عام 1789- 1793 جيشا محترفا صغيرا، يتألف من المرتزقة، اللذين تم شراؤهم، الفقراء المجندين بالقوة بقيادة النبلاء، ولا يشبه البتة جيش ما بعد الثورة البورجوازية، أمة تحمل السلاح، هرعت بشكل عفوي إلى نداء "الوطن في خطر" بقيادة الرقباء السابقين وعن طريق تعاقديين، وبقدر عمقه الكبير، فإن الفرق بين جيش النظام الروسي الامبراطوري القديم، الذي قاده الدوق الأكبر نيكولا إلى هزيمته مع طبقة من الضباط، و بخدمة مفروضة بشدة، نظام "تسديد

اللكمة على الوجه"، والجيش الأحمر الذي نظمه الحزب الشيوعي مع هذا "المحرك العظيم"، تروتسكي (هكذا كان ينظر الكاتب إلى تروتسكي في تلك الفترة (المترجم))، مع مفوضيه العمال وخدماته الدعائية، ونداءاته اليومية إلى الوعي الطبقي للجندي وانتصاراته الملحمية ... عميق أيضا، إن لم نقل أكثر ، الفرق بين الدولة البورجوازية التي دمرتها الثورة الروسية في أكتوبر 1917، والدولة البروليتارية المبنية على أنقاضها – رأسا على عقب –.

إننا نثير مشكل القمع، وسنرى أن التشابه بين الجهاز القمعي للدولة البورجوازية والجهاز البروليتاري، يبدو ظاهريا أكثر مما عليه واقعيا.

II ـ تجربة ثورتين

في منتصف فبراير 1917، رأى السوفيات، أصحاب السلطة الحصريين منذ أيام قليلة، بعد أن حققوا انتصارا انتفاضيا كاملا عبر روسيا، انفتاح عصر الصعوبات، فمواصلة الثورة سيكون أصعب مئة مرة بالنسبة لهم مما كان عليه صنعها والاستيلاء على السلطة. في المدن الكبرى لا تتوفر أي خدمة عمومية، ولا إدارة تعمل، وهدد إضراب التقنيين، التجمعات الأكثر كثافة بالكوارث المجهولة. قد ينقص الماء والكهرباء والغذاء في غضون ثلاثة أيام، وخدمات الطرق لا تعمل. كان علينا توقع الأوبئة، وكان النقل أكثر من هش، ثم هناك إشكالية التموين. لقد وجد مفوضو الشعب الأولون، اللذين جاؤوا للاستيلاء على الوزارات هناك، مكاتب فارغة ومغلقة، مع خزانات مغلقة، حيث كان هناك بعض الموظفين المساعدين، المعادين والمتزلفين، ينتظرون الأسياد الجدد لتفكيك أدراج السكريتيرات الفارغة ...

استمر هذا التخريب من طرف البيروقراطية والتقنيين، الذي نظمه الرأسماليون (حصل الموظفون "المضربون" على رواتب من لجنة المتآمرين) عدة أسابيع، في الحالة الحادة، وشهورا وسنوات تحت أشكال مخففة، ومع ذلك، اندلعت الحرب الأهلية ببطيء.

أظهرت الثورة المنتصرة، التي لم تمل إلى إراقة الدماء تساهلا خطيرا مع أعدائها، فبعد الإفراج المشروط (كان هذا حال الجنرال كراسنوف) أو تم تجاهلهم، تجمع الضباط الملكيون في الجنوب، وشكلوا هناك النواة الأولى لجيوش **كورنيلوف** و **ألكسيف** و **كراسنوف و دينيكين** و **رانجل**.

كانت شهامة جمهورية السوفيات الفتية ستكلف لسنوات فيضانا من الدم. سيتساءل المؤرخون بالتأكيد يوما ما – والمنظرين الشيوعيين، مما لا شك فيه، متقدمين عن أعمال المؤرخين – ما إذا لم تكن روسيا الحمراء، مع صرامة أكبر في بداياتها، مع دكتاتورية، كانت ملزمة بالسعي إلى الحد، دون تأخير، من العجز في اتخاذ قرار تدبير الأمن العام، ضد طبقات الأعداء، حتى عندما بدت سلبية – إذا لم تنج روسيا الحمراء من بعض أهوال الحرب الأهلية والرعب المزدوج الأبيض والأحمر.

كان هذا على ما يبدو تفكير لينين، الذي شرع في وقت مبكر للغاية في مكافحة التردد ونصف تدابير القمع، كما في مكان آخر. إنه مفهوم تروتسكي المحدد من طرف بعض الأوامر القاسية إلى الجيش الأحمر وفي كتابه "الإرهاب والشيوعية" - إن هذه الفكرة كذلك عبر عنها روبسبيير قائلا في "الاتفاقية"، في يناير 1793: "**إن الرحمة التي تتوافق مع الطغيان، بربرية**" –

إن الخلاصة النظرية، التي يمكن استخراجها من التجربة الروسية، هي أن كل ثورة في بداياتها، يجب ألا تكون متساهلة ولا متسامحة، بل قاسية، ففي الحرب الطبقية، من الضروري الضرب بقوة، من أجل كسب انتصارات حاسمة، حتى لا يتم اللجوء إلى استعادة باستمرار لنفس الساحة، بمخاطر جديدة وتضحيات جديدة.

بين أكتوبر ودجنبر 1917، لم تنفذ العدالة الثورية إلا 22 عملية إعدام، معظمها يهم الناهبين.

تأسست اللجنة الاستثنائية لقمع الثورة المضادة والمضاربات، المسماة اختصارا تشيكا في 7 دجنبر في وقت أصبح فيه العدو الداخلي أكثر جرأة.

ما هو الوضع الآن؟

بعبارات عامة: السفارات والبعثات العسكرية للحلفاء هي بؤر للتآمر الدائم، فمعادو الثورة بمختلف أطيافهم، يجدون فيها التشجيعات والإعانات والأسلحة وقيادة سياسية.

إن الصناعيين، اللذين وضعوا تحت المراقبة العمالية، أو جردوا من ممتلكاتهم، يخربون، مع التقنيين، الإنتاج والأدوات والمواد الخام والمخزونات وأسرار العمل.

كل ما يمكن إخفاؤه تم إخفاؤه، وكل ما يمكن سرقته تمت سرقته، وزادت نقابة النقل والتعاون، التي يقودها المناشفة بمقاومتهم، في ارتباكات التموين، وزادت المضاربة من حدة المجاعة، والصرافة تزيد من حدة التضخم.

إن الكاديت -الديموقراطيون الدستوريون- البورجوازيون يتآمرون، والاشتراكيون الثوريون يتآمرون، والاشتراكيون الديموقراطيون (المناشفة) يتآمرون و الأناركيون يتآمرون، والمثقفون يتآمرون، الضباط يتآمرون. كل مدينة لها هيئة أركان سرية وحكوماتها المؤقتة، مصحوبين بحكام مقاطعاتهم، والشانقين المستعدين للخروج من الظل في انتظار الانقلاب الوشيك، حيث المنضمون إليه مشكوك فيهم.

في الجبهة التشيكوسلوفاكية، يريد القائد العام للجيش الأحمر **مورافييف** الذي خان، أن ينتقل إلى جانب العدو، والاشتراكيون الثوريون يهيئون لاغتيال لينين و تروتسكي، وقد قتل **أورتسكي و فودارسكي** في بتروغراد، و قتل **ناخمسون** في لاروسلاف، انتفاضة التشيكوسلوفاكيين، انتفاضات في ايايروسلاف و روبنسك و موروم و كا زان ...

مؤامرة "الاتحاد من أجل الوطن والحرية"، مؤامرات الاشتراكيين الثوريين اليمينيين، انقلاب الاشتراكيين الثوريين اليساريين، قضية لوكهارت (القنصل العام لبريطانيا العظمى، وهو أقل حظا من السيد نولنس).

ستتوالى المؤامرات على امتداد سنوات. إنه التقويض في الداخل، الذي يتطابق مع الهجوم الخارجي للجيوش البيضاء، والتدخل الأجنبي.

ستكون هناك قضية المركز التكتيكي في موسكو، وأعمال الإنجليزي بول دوكس، وقضية تاغنتسيف في بتروغراد، تفجير ليونتيفسكي بريولوك في موسكو (قضية "الأناركيين السريين")، خيانات حصن كرانسايا- غوركا، وفيلق (كتيبة) سيمينوفسكي [25]، والثورة المضادة الاقتصادية والمضاربة. في الواقع، سيبقى مديرو المؤسسات المؤممة لسنوات في خدمة الرأسماليين، اللذين جردوا من ممتلكاتهم، يبلغونهم، وينفذون أوامرهم، ويخربون الإنتاج لصالحهم. سيكون هناك عدد لا يحصى من الانتهاكات والتجاوزات بجميع أنواعها، وتسلل الصائدون في الماء العكر إلى الحزب الحاكم، وأخطاء البعض وفساد الآخرين. ستكون هناك الفردانية البورجوازية الصغيرة، التي أطلقت عنانها في صراعات فوضوية ...

ليس هناك مشكلة قمع، فالتشيكا ليست أقل أهمية من الجيش الأحمر ولجنة الإمداد.

قبل 120 عاما ردت الثورة الفرنسية، في مواقف مماثلة تقريبا بشكل مشابه، فقد كان لدى ثوار 1792، "لجنة السلامة العامة" والمحكمة الثورية و فوكيي - تينفيل والمقصلة، ودعونا لا ننسى جوردان قاطع الرؤوس و كاريير نانت. في أيام شتنبر، تم حرمان المهاجرين من حماية القانون، قانون المشتبه بهم، ومطاردة الكهنة المتمردين، وتهجير سكانلافاندي وتدمير ليون.

قال **دانتون** أمام "الميثاق" (الكونفونسيون): "**يجب قتل جميع الأعداء الداخليين لننتصر على الأعداء الخارجيين**" ... وصاح أمام المحكمة الثورية، اتهم "وزير الثورة" بمذابح شتنبر، متهما إياه بالرغبة في الرأفة:

"لا يهم أن يطلق عليك شارب الدم، فإذن لنشرب دم أعداء الإنسانية إذا لزم الأمر ...".

لن نذكر مارا، حيث يمكن للثوريين البروليتاريين بنوع من المعقولية اعلان الانتماء إليه، لكن الخطيب العظيم لحزب الثورة البورجوازية المعتدل **فيرنيود**، يطالب من المجلس التشريعي، في 25 أكتوبر1792، باتخاذ إجراءات موجزة – إرهابية- ضد المهاجرين.

قال منبر لاجيروند:

"براهين قانونية! لا تعطون إذن اعتبارا للدم الذي سيكلفكم! براهين قانونية! آه، بل علينا الإخبار بالكوارث التي يمكن أن تجلبها لنا! دعونا أخيرا نتخذ إجراءات صارمة! ...".

بأي انحراف غريب كان بورجوازيو الجمهورية الثالثة، التي هزم أسلافها، عن طريق الإرهاب، الملكية ورجال الدين الإقطاعيين والتدخل الأجنبي، ساخطين بشدة ضد الإرهاب الأحمر؟

III ـ الإرهاب الذي دام قرونا

لن ننكر أن الإرهاب قد يكون رهيبا، فقد لجأت إليه الثورة البروليتارية المهددة بالموت لمدة ثلاث سنوات، من عام 1918 إلى عام 1921. إنه يتم نسيان، بسهولة كبيرة جدا، أن المجتمع البورجوازي، حتى خارج الثورات التي انتهوا من تشكيلها، كان في حاجة لكي يولد وينمو إلى قرون من الرعب. لقد تشكلت الرأسمالية الكبيرة على مر القرون من خلال نزع الملكية من المزارعين، وتراكم الرأسمال المانيفاكتوري والصناعي من خلال الاستغلال الذي لا هوادة فيه،

بمساعدة التشريعات الدموية، وتحول الفلاحون، اللذين انتزعت منهم ملكياتهم إلى التشرد. إن هذه الصفحة الرهيبة من التاريخ مرت بصمت في الكتب المدرسية وحتى في الكتب الكبيرة. نحن نعرف فقط عرضا عاما، موجزا، ولكن بارعا، لقد كتب كارل ماركس في الفصل 24 من الرأسمال حول "التراكم البدائي":

"في نهاية القرن 15، وطوال القرن 16، كان هناك تشريع دموي في جميع أنحاء أوروبا الغربية ضد التشرد. لقد عوقب أسلاف العمال الحاليين، أولا، لأنهم سمحوا بتحويل أنفسهم إلى مشردين ومعوزين".

كان أحد أهداف هذا التشريع المحدد للغاية هو تزويد الصناعة باليد العاملة، وكانت المعاقبة بالسوط ضد كل المتشردين، ولأي عبد يرفض العمل (مرسوم إدوارد السادس ملك إنجلترا، 1547) ويتعرض إلى الوسم بالحديد الساخن أولئك، اللذين يحاولون الهروب، والموت لمن له سوابق في الهروب، والسرقة يعاقب عليها بالموت.

وفقا لطوماس مور:

"تم إعدام 72000 لص صغير أو كبير في عهد هنري الثامن" الذي حكم 24 عاما، من عام 1485 إلى 1509، وفي عهد الملكة إليزابيث تم شنق المتشردين بالتسلسل، وشهد كل عام شنق من 300 إلى 400 متشرد، وتحت حكم هذه الملكة "العظيمة" فإن المتشردين، اللذين تزيد أعمارهم عن 18 عاما، واللذين لم يكن أحد مستعدا لتشغيلهم لمدة عامين على الأقل يتم قتلهم.

وفي فرنسا، وبموجب قانون لويس 16 (قانون 13 يوليوز 1777) فكل رجل قادر، من 16 إلى 60 سنة، إن كان بدون وسائل عيش، ولا يمارس مهنة، يرسل إلى الأشغال الشاقة". في إحدى رسائلها، التي يتذوقها المثقفون، تتحدث مدام دي سيفينيي ببساطة ساحرة عن "مشانق معتادة للفلاحين". لعدة قرون، لم تكن العدالة سوى الرعب، منظمة من طرف الطبقات الغنية، ولطالما كانت سرقة شخص غني تعد جريمة أكبر من قتل شخص فقير.

إن تزوير التاريخ الذي تفرضه المصالح الطبقية للبورجوازية، كونه قاعدة في التعليم في البلدان الديموقراطية، فإنه لا وجود، على ما نعلم، باللغة الفرنسية لتاريخ جدي للمؤسسات الاجتماعية متاحة للمدارس أو لعامة الناس. كذلك، فنحن في أمس الحاجة للجوء إلى الوثائق المتعلقة بروسيا. لقد كرس المؤرخ الماركسي **م. ن بوكروفسكي** للعدالة، كتابه الملفت للنظر: "تاريخ الثقافة الروسية" فصلا من حوالي 20 صفحة جاء فيها أنه تحت

حكم إيفان الثالث في القرن 15، يتم تحقيق العدالة من قبل البويارديين (نبلاء روس) و دفوريانيين– نبلاء، طبقة ممتازة من ملاكي الأراضي - و الفلاحين "الجيدين"(معنى ذلك بالضبط، الأغنياء). إن رأي بعض "الأشخاص الشرفاء" يكفي لتبرير حكم الإعدام، عندما يتعلق الأمر بالفقراء بالطبع.
كتب م.ن بوكروفسكي:
"في نهاية القرن 15، بدا بالفعل، أن إزالة العناصر المشبوهة، كانت جوهر هذا الحق"، المشتبهين بالنسبة لمن؟ مشتبهين بالنسبة للأغنياء.
- هناك وثيقة تعود إلى سنة 1539، تمنح الحق في إقامة العدل للنبلاء(البويارد) بمساعدة "الشرفاء"(الفلاحين الأغنياء)، وينص القانون على قتل "اللصوص المتلبسين بالفعل أو غير المتلبسين"، ويسمح بوضع "الناس السيئين" محط السؤال، والاعتراف الذي يتم الحصول عليه، إلى جانب ذلك يعني شنق "الجاني"، وإذا لم يعترف، يمكن مع ذلك سجنه مدى الحياة.
لا تعترف القوانين، التي تحدد هذا الحق، بأنه يمكن الحكم على أحد النبلاء، ولا تبدأ العدالة بالتطبيق إلا على الفلاحين والتجار والحرفيين، وتصبح صارمة فقط على الفقراء. سيكون كافيا لتقتنع بوحشية هذا العدل، فيمكنك تصفح تاريخ ثورات الفلاحين في ألمانيا، و الجاكري في فرنسا – التي تشير إلى ظهور الملكية الرأسمالية، وتوجد مؤسسات مماثلة في جميع دول القنانة، و لم تختف هذه العدالة الطبقية للملكية العقارية و الملكية الإقطاعية وبشكل كامل إلا شيئا فشيئا، مفسحة المجال لتلك – الأكثر كمالا و لكن ليس الأقل شراسة – للملكيات المطلقة، التي تتميز بالأهمية المتزايدة للتجارة.
إلى غاية الثورة البورجوازية، وإلى غاية الفترات الأقرب من التاريخ، لم تكن هناك مساواة، وإن كانت شكلية بحتة أمام "العدالة" بين الأغنياء والفقراء ...فلنرى ذلك:
إن الثورات لا تبتكر أي شيء في مسائل القمع والإرهاب، إنها تعيد إحياء معايير العدالة والقانون، التي كانت، لظروف، هي تلك الخاصة بالطبقات الغنية ضد الطبقات المحرومة ...

IV ـ من غالفيت إلى موسوليني

في كل المرات التي طرح فيها مشكل القمع أمام الأزمات الاجتماعية، لم تتردد البورجوازية الحديثة في العودة إلى أبسط الأساليب للعدالة الطبقية، متعاملة مع أعدائها كما يعامل المشردون في القرن 15، حيث يتم شنقهم، ويتم إطلاق النار على الآلاف سنة 1848 من المتمردين الباريسيين في ضاحية سانت أنطوان، واللذين لم يكونوا سوى عاطلين عن العمل، أغضبتهم الاستفزازات البارعة.
يجب ألا نتعب من تذكر هذه الحقائق التاريخية العظيمة.
إن التبرير المبكر للإرهاب الأحمر، كتبته البورجوازية مرتين بأجمل دم إنساني في كتاب التاريخ: بقطع الرأس من أجل الاستيلاء على السلطة، والأرستوقراطيين الإقطاعين واثنين من الملوك – تشارلز الأول، إنجلترا (1649)، لويس 16، فرنسا، وبقمع الانتفاضات البروليتارية.
فلنتحدث لحظة بالتواريخ والأرقام:
في كومونة باريس أعدم بالسلاح 60 رهينة، ردا على عمليات الإعدام بدون محاكمة لجنودها، اللذين سجنهم الفرساليون. لقد أهلك الفرساليون شعب باريس، ووفقا لتقديرات معتدلة، فقد أودى القمع بحياة أكثر من 100 ألف كوموني على الأقل (منهم آلاف الأطفال والنساء)، ليس خلال المعركة، بل بعدها، وتوفي 3000 في السجون.
هل ضربت الثورة السوفياتية في فلندا، التي قمعها حرس أبيض مارنهايم، المتحالفين مع المرتزقة من الفرسان الألمان لفون دير غولتز، قبل أن تسقط بعضا من أعدائها؟ من المحتمل، لكن العدد كان صغيرا للغاية، لدرجة أن البورجوازية نفسها لم تذكره، بالمقابل، في هذا البلد، الذي يبلغ عدد سكانه 35 مليون، حيث نسبة البروليتاريا ليست عالية، تم إطلاق النار على 11 ألف عامل من قبل الشرطة، وأكثر من 70 ألف محتجز في معسكرات الاعتقال.
تأسست جمهورية سوفييت المجر (1919) تقريبا دون إراقة دماء، وذلك بفضل التنازل التلقائي لحكومة الكونت **كارولي** (البورجوازية)، وعندما حكم المفوضون الشعبيون في بودابيست على الوضع بأنه ميؤوس منه، تنازلوا بدورهم، ونقلوا السلطة إلى الاشتراكيين الديموقراطيين.
خلال الثلاثة أشهر التي دامتها، فإن دكتاتورية البروليتاريا الهنغارية، بالرغم من أنها كانت مهددة بالمؤامرات من الداخل، وبالاجتياحات التشيكوسلوفاكية والرومانية على حدودها، أسقطت 350 من أعدائها، وضمن هذا العدد كان

أولئك المعارضون للثورة، اللذين سقطوا والسلاح في يدهم خلال الانتفاضات المحلية، وقتلت عصابات الضباط ومحاكم هورثي، انتقاما، عدة آلاف من الأشخاص، واحتجزت وسجنت وعنفت عشرات الآلاف ...

وأعدم سوفييت ميونيخ (1919)، ردا على مذبحة 23 سجينا أحمرا من قبل الجيش "النظامي"، 12 رهينة، وبعد دخول رايخ ويهر ميونيخ، تم إطلاق النار على 505 شخصا في المدينة، بما في ذلك 321 بدون أدنى محاكمة، حتى وإن كانت شكلية، من هذا العدد، كان هناك 60 من الروس، اللذين كانوا محط حملة بوليسية بالصدفة.

فيما يتعلق بضحايا الإرهاب الأبيض، الذي يسود في روسيا في المناطق التي تنتصر فيها الثورة المضادة والتدخل الأجنبي بشكل مؤقت، لا تخبرنا أي إحصاءات مقنعة بذلك، ومع ذلك، فقد قدر العدد الإجمالي لضحايا المذابح المنظمة الوحيدة المعادية للسامية في أوكرانيا بمليون ضحية في زمن الجنرال **دنيكين**، وتم ذبح الساكنة اليهودية في مدن بأكملها (فاستوف) بشكل ممنهج.

تشير التقديرات إلى وفاة 15000 عامل أثناء قمع تمرد العمال في ألمانيا، من عام 1918 إلى عام 1921، ولن نذكر هنا بأسماء الشهداء أو الفترات الرمزية، نحن نسعى فقط لتدعيم بعض المبادئ بالوقائع.

كان يجب أن تنير الكثير من التجارب المؤلمة البروليتاريا حول هذه النقطة، فلا تزال الكثير من الدكتاتوريات والعديد من أنظمة الإرهاب، تعمل ببيانات دقيقة (عروض، براهين، إثباتات).

من **غالفيت** إلى **موسوليني** مرورا عبر **نوتسكي**، يتميز قمع الحركات الثورية البروليتارية، حتى عندما يوافق الاشتراكيون الديموقراطيون على ترأسها، كما حدث في ألمانيا، بالإرادة الواضحة للغاية لضرب الطبقات العاملة في قواها الحيوية، وبعبارات أخرى، بالإبادة البدنية لنخبها قدر الإمكان.

٧ ـ القانون البورجوازي والقانون البروليتاري

يعد القمع إحدى الوظائف الأساسية لكل سلطة سياسية، والدولة الثورية، على الأقل في المرحلة الأولى من وجودها، بحاجة إليه أكثر من أي دولة أخرى، ومع ذلك، يبدو أنه، في عناصرها الأساسية الثلاثة - الشرطة، الجيش، المحاكم والسجون – لا تختلف آليات القمع والإكراه.

لقد درسنا للتو شرطة الأمن، لقد نزلنا إلى قاعها الأكثر سرية، الأكثر قذارة، ورأينا عجزها. كما قلنا، فهذا السلاح في أيدي النظام القديم، لا يمكن أن ينقده ولا أن يقتل الثورة، لكننا نعترف بالفعالية الحاسمة لهذا السلاح نفسه في أيدي الثورة، إن السلاح هو نفسه في المظهر فقط.

إن مؤسسة تكرر ذلك تخضع لتحولات عميقة حسب الطبقة، التي تخدمها والغايات التي تسعى إليها، لقد دمرت الثورة الروسية، من الأسفل إلى الأعلى الجهاز القسري للنظام القديم، وبسرور، وفوق أنقاضها المتراكمة، ابتكرت المؤسسة الخاصة بها.

دعونا نحاول رسم الاختلافات الجوهرية بين القمع كما تمارسه الطبقة الرأسمالية، والقمع الذي تمارسه الطبقة الثورية. إن المبادئ العامة التي سيكشف لنا عنها تحليل موجز، ستجعلنا نستخلص بعض النتائج الطبيعية حول دور الشرطة هنا وهناك.

في المجتمع البورجوازي، تمارس الأقليات الغنية السلطة ضد الأغلبية الفقيرة، فالحكومة ليست أبدا أكثر من لجنة تنفيذية لأوليغارشيا من الممولين تدعمها الطبقات المتميزة. إن التشريعات التي تهدف إلى إبقاء مجموع المأجورين – غالبية السكان- خاضعين، يجب بالضرورة أن تكون معقدة جدا وصارمة جدا. يجب أن يؤدي أي هجوم خطير (حقيقي) على الملكية بطريقة أو بأخرى إلى تصفية المتهم (الجاني).

لم نعد نشنق اللص، ليس لأن المبادئ الإنسانية هي "قيد التقدم"، ولكن لأن ميزان القوى بين الطبقات المالكة والطبقات غير المالكة، وكذلك تطور الوعي الطبقي، لا يسمح للقاضي بتحدي البؤس بهذه الطريقة، - ولكن سوف نقتصر على اتباع التشريع الفرنسي، الذي هو ذو شراسة معتدلة – فالسرقة الموصوفة يعاقب عليها بالأشغال الشاقة، وتنجز الأشغال الشاقة في ظل هذه الظروف، وتتفاقم مثل هذه "العقوبات التكميلية"، التي تجعل حياة الجاني مدمرة بلا شك.

كل عقوبة مدتها خمس سنوات من الأشغال الشاقة تكون مضاعفة، فالمفرج عنه مجبر على الإقامة في داخل إحدى المستعمرات زمنا يساوي مدة إقامته في السجن، وأولئك اللذين حكم عليهم بأكثر من ثمان سنوات من الأشغال الشاقة، يخضعون للإقامة الدائمة في **لا غوييان**، ويتعلق الأمر بالمستعمرات الفرنسية، التي لا تتوفر على الشروط الصحية بالكل!

إن النفي ك "عقوبة" "تكميلية" دائمة، المطبقة أيضا في لا غوبيان، عقوبة تشبه إلى حد كبير عقوبة الأشغال الشاقة، وهي قبل كل شيء مصير اللذين يعودون للسرقة غير الموصوفة بأربع إدانات بالسرقة والتزوير، وما إلى ذلك.
- إن السرقة المتتالية ل 100 بنسات ستكون حالة مثالية.
لقد تصفحت ما يكفي من ملفات المنفيين لأعرف أن هناك حالات مثل هذه – يمكن أن تؤدي إلى النفي، أو سبع إدانات بتهمة التشرد. وبعبارات أخرى، فكونك بدون خبز أو سكن على رصيف باريس سبع مرات، هو جريمة يعاقب عليها بالسجن المؤبد، وفي إنجلترا وبلجيكا، حيث توجد بيوت للعمل القسري ومستودعات للتسول، فإن قمع التسول أو التشرد لا يقل عن ذلك بلا هوادة، وهناك سمة أخرى، يحتاج أرباب العمل إلى اليد العاملة وعتاد المدافع: القانون يعاقب الإجهاض بلا هوادة.
إن أبدية الملكية الخاصة، ونظام الأجور يطرحها من حيث المبدأ.
لا يمكن تطبيق أي علاج فعال على الأمراض الاجتماعية مثل الجريمة، هناك معركة دائمة تتأسس بين النظام والجريمة، "جيش الجريمة" يقال عنه جيش البائسين، جيش الضحايا، جيش غير المسؤولين، الذي دمر بلا داع وإلى أجل غير مسمى.
هذه الحقيقة لم تتم ملاحظتها بقوة كافية، فالنضال ضد الجريمة، (مكافحة الجريمة) هو مظهر من مظاهر صراع الطبقات، فما لا يقل عن ثلاثة أرباع المجرمين العاديين، ينتمون إلى الطبقات المستغلة (فتح الغين).
لا يسمح قانون العقوبات للدولة البروليتارية عموما بعقوبة الإعدام في المسائل الجنائية (على الرغم أن التصفية الجسدية لبعض المجانين المستعصين والخطرين هي الحل الوحيد في بعض الأحيان) كما أنها لا تسمح بالسجن مدى الحياة، وأقوى عقوبة هي السجن لمدة عشر سنوات. يعتبر الحرمان من الحرية إجراء للأمن الاجتماعي، وإعادة التربية كاستبعاد لفكرة العقوبة القروسطية، والمعاناة المفروضة في العقاب في هذا المجال، وفي الوضع الحالي لاتحاد السوفييت، فإن الإمكانيات المادية هي بطبيعة الحال أقل بكثير من النوايا.
إن بناء المجتمع الجديد، الذي سيكون بدون سجون- لا يبدأ بتطوير سجون مثالية- بدون شك، ولكن مع إعطاء الزخم، يبدأ إصلاح عميق. مثل المشرع، تأخذ المحاكم في

الاعتبار، مع أوضح تميز طبقي، الأسباب الاجتماعية للجريمة، والجدور والظروف الاجتماعية للجاني.
أن تكون بدون خبز وبدون سكن هو في الحقيقة جريمة خطيرة في باريس كما رأينا، أما في موسكو، مضافة إلى جانب جريمة أخرى، هناك ظرف تخفيف مهم.

أمام القانون البورجوازي، يكون الفقر في كثير من الأحيان جريمة، وهو دائما يكون ظرفا مشددا، أو ذنبا مفترضا، أما القانون البروليتاري، فأن تكون ثريا – حتى ضمن الحدود الصارمة للغاية، حيث يتم التسامح مع الإثراء الفردي في زمن السياسة الاقتصادية الجديدة – يكون دائما ظرفا مشددا.

VI ـ في كلا النظامين : هل يجب محاربة الآثار أم العودة إلى الأسباب؟

إن العقيدة الليبرالية العظيمة للدولة التي خرقها الحكام الرأسماليون بجدية فقط في أوقات الحرب، ثم كانت لديهم رأسمالية حربهم، التي اتسمت بتقنين الإنتاج و الرقابة الصارمة على التجارة و توزيع المنتجات (بطاقات الاستهلاك)، حالة الحصار، الخ ... تدعو إلى عدم تدخل الدولة في الحياة الاقتصادية، و ترتبط في الاقتصاد السياسي بشعار "دعه يعمل، دعه يسير" ، تعتبر المانشسترية (مدرسة مانشستر)، و بخاصة، الدولة أداة للدفاع الجماعي عن الطبقات المالكة، آلة اضطهاد ضد المستغلين، و تقلص الوظائف الإدارية للدولة إلى الحد الأدنى، إنه تحت تأثير الاشتراكية و ضغط الجماهير الحديثة تحملت الدولة إدارة التعليم العمومي منذ وقت ليس ببعيد، كما تتقلص الوظائف الاقتصادية للدولة، قدر الإمكان إلى وضع تعريفات جمركية، تهدف إلى حماية الصناعيين من المنافسة الأجنبية (تشريع قانون العمل هو إنجاز للحركة العمالية).
باختصار، فاحترام الفوضى الرأسمالية هو حكم الدولة، أن ينتج المرء، يبيع، يعيد البيع، يضارب، بدون قياس ودون الاهتمام بالمصلحة العامة، صحيح، أن المنافسة هي قانون السوق.
هكذا تصبح الأزمات أكبر منظم للحياة الاقتصادية، إنهم يصلحون على حساب العمال والطبقات الوسطى – الدنيا والرأسماليين الأكثر ضعفا، أخطاء أرباب الصناعة، حتى عندما تقوم تروستات كبيرة، التي تحكم البلاد بأكملها بقمع

المنافسة بشكل فعال في مناطق واسعة من الإنتاج والتجارة، فإن العقيدة القديمة للدولة المتطابقة جدا مع مصالح ملوك الصلب والفحم والخنزير المملح أو النقل البحري، لا تزال غير ملموسة بشكل عام: هذا هو الحال في الولايات المتحدة.

إن هذا التذكير بالحقائق، التي يجب أن يعرفها الجميع أمر أساسي بالنسبة لنا من أجل تحديد حالة العمال والفلاحين بشكل أفضل، كما حققه اتحاد السوفييت، مع تأميم الأرض وباطن الأرض والنقل والصناعة الكبيرة والتجارة الخارجية.

إن الدولة السوفياتية تحكم الحياة الاقتصادية، وتعمل كل يوم مباشرة على العوامل الأساسية للحياة الاقتصادية ضمن الحدود نفسها، التي تقبل فيها المبادرة الرأسمالية، يسيطر عليها وينظمها، ويمارس إشرافا مزدوجا عليها:

بموجب القانون وبالعمل الذي نسميه مباشرة في السوق والائتمان والإنتاج لسياسة الدول السوفياتية، إننا نحاول أن نوقف الأزمات من الأعراض الأولى، فمن غير المنطقي أن نتوقع في مستوى معين من التنمية الاجتماعية، القضاء التام عليها.

عندما تكون الدولة الرأسمالية تكتفي مبدئيا بمحاربة الآثار النهائية للأسباب الاجتماعية، التي تمتنع عن لمسها، فإن الدولة السوفياتية تعمل على هذه الأسباب. إن العوز والدعارة، وحالة الصحة العامة غير المستقرة، والجريمة وانحلال السكان وتراجع نسب المواليد، ليست سوى آثارا لأسباب اقتصادية عميقة [26].

بعد كل أزمة اقتصادية، تزداد الجريمة، ولا يمكن أن يكون الأمر خلاف ذلك، والمحاكم الرأسمالية تضاعف قسوتها. بالنسبة للاضطرابات التي يسببها الأداء الطبيعي للاقتصاد الرأسمالي – الفوضوي غير العقلاني، الذي تحكمه الأنانية الفردية والأنانية الجماعية للطبقات المالكة – لا تعرف البورجوازية أي علاج سوى القمع [27].

من الواضح أن الدولة السوفياتية، بمواجهتها لأسباب الشر، تحتاج بطبيعة الحال إلى قمع أقل بكثير، وكلما تطورت، كلما كان عملها الاقتصادي فعالا ومنسقا وبعيد النظر، كلما كانت محتاجة إلى قمع أقل (كلما كان من الضروري تقليل القمع) حتى اليوم الذي تقوم فيه الإدارة الذكية للإنتاج، فإزالة الأمراض الاجتماعية مثل الجريمة، عن طريق الأجيال القديمة، حيث يسعى الإلزام إلى وضع حد للعدوى ... ستكون السرقة أقل بكثير، عندما لا يكون هناك جوع، بالكاد، بعد الآن عندما يتحقق الرخاء للجميع .حتى اليوم، نحن بعيدون عن هذا الهدف!

إن قناعتنا هي أنه على عكس المظاهر، تستخدم الدولة السوفياتية قمعا أقل من أي دولة أخرى. دعونا نفكر في الأمر: في الوضع الاقتصادي الحالي لروسيا، ألن تكون حكومة بورجوازية ملزمة بالحكم بالقوة أكثر من السوفييت؟ غالبا ما يكون الفلاح غير راض، إذ يجد الضريبة مرتفعة للغاية، والمواد الصناعية باهظة الثمن، ويتم التعبير عن سخطه في بعض الأحيان، بأعمال يجب وصفها بأنها معادية للثورة، ومع ذلك أعطى جميع الفلاحين النصر العسكري للسوفييت – كان الجيش الأحمر يتكون أساسا من سكان الريف (الفلاحين) – ويواصل دعمهم.

إن حكومة رأسمالية، بإرجاعها الأراضي إلى ملاكي الأراضي، يجب أن تحتوي – ولا يمكن أن تحتوي إلا بالقمع، من خلال القمع الذي لا هوادة فيه ولا يرحم – غضب 100 مليون من سكان الريف، إن هذا هو السبب بالضبط في سقوط جميع الأنظمة البيضاء التي قام التمويل الأجنبي بإرشائها.

في عوزه الحالي، بعد سنوات من الحرب الامبريالية والحرب الأهلية والحصار والمجاعة، محاصرا بالدول الرأسمالية، وموضوع حصار مالي والمؤامرة الدبلوماسية والاستعدادات للحرب، ظل الاتحاد السوفياتي معسكرا محاصرا من طرف العدو، يكافح أيضا، التناقضات الداخلية الكامنة في مثل هذه الفترة الانتقالية الصعبة، ما زال بشكل كبير في حاجة إلى القمع.

سيكون الاعتقاد بأن حقبة المحاولات المضادة للثورة قد انتهت، هو خداع الذات بشكل مفرط، ولكن بغض النظر عن الصعوبات الحالية للثورة الروسية، وطرقها في الرد عليها، فإن الخصائص الأساسية للدولة السوفياتية لم تتغير وبالتالي كذلك الدور الذي يلعبه القمع هناك.

VII ـ الإكراه الاقتصادي عن طريق الجوع

غالبا ما نغفل هذه الحقيقة الأخرى، وهي أنه لا يمكن مقارنة المجتمع السوفياتي في العام الثامن من وجوده إلى حد ما بالمجتمع البورجوازي، الذي يتمتع بتقاليد السلطة لعدة قرون، وأكثر من قرن من الخبرة السياسية، فقبل عام 1789 بوقت طويل، كانت الهيئة الثالثة، خلافا لتأكيد **سيييس** الشديد، قوة محترمة لدى الدول.

لم تكن السنوات الخمسون الأولى من التطور الاقتصادي للبورجوازية أقل من سنوات الدكتاتورية الطبقية الوحشية.

إن مزوري التاريخ الرسمي محكوم عليهم أن ينسوا حقيقة النصف الأول من القرن 19، لقد مرت الرأسمالية الحديثة، التي تسير على البذخ على جسد عدة أجيال من العمال، اللذين عاشوا في أحياء فقيرة، وعملوا من الفجر إلى الغسق، ولم يعرفوا الحرية الديموقراطية، تسلم للمصنع، الذي يلتهم عضلاتهم حتى أطفالا في عمر 8 سنوات، ففوق العظام واللحم والدم وعرق هذه الأجيال التي تمت التضحية بها، تم بناء كل هذه الحضارة الحديثة، ومع ذلك يتجاهلهم العلم البورجوازي.

مرة أخرى، فنحن مضطرون لإحالة القارئ إلى "رأسمال" كارل ماركس، حيث سيجد هناك في الفصل الثالث والعشرين صفحات رهيبة عن إنجلترا من 1846 إلى 1866، إننا لا نقاوم إغراء اقتباس بضعة أسطر يشير فيها طبيب مسؤول عن تحقيق رسمي أنه:

"حتى بين عمال المدينة، فإن العمل، الذي بالكاد يوفر لهم ما يكفي لكيلا يموتوا من الجوع، الذي عادة ما يمتد إلى أبعد مدى ... بالكاد يحق له أن يقول إن العمل يغذي صاحبه".

ويلاحظ محقق آخر أن هناك "في لندن عشرون منطقة كبيرة يسكنها حوالي عشرة آلاف شخص، يتجاوز بؤسهم أي شيء يمكن رؤيته في أي مكان آخر من إنجلترا". ويقول الدكتور هنتو:

"إن نيوكاستل تقدم مثالا لواحد من أجمل الأجناس من مواطنينا، اللذين سقطوا في انحطاط وحشي تقريبا، نتيجة الظروف الخارجية البحثة والسكن والشارع".

وكتبت صحيفة ستانتارد، وهي صحيفة انجليزية محافظة في 5 أبريل 1866 عن العاطلين عن العمل في لندن:

"دعونا نتذكر ما تعانيه الساكنة، إنها تتضور جوعا، إنهم أربعون ألف، وهذا في عصرنا، في منطقة من هذه المدينة الرائعة، بجانب أكبر تراكم للثروة شهده العالم على الإطلاق".

"في عام 1846، قتلت المجاعة أكثر من مليون شخص في إيرلندا، ولم يكن لها أي تأثير على ثروة البلاد" (كارل ماركس).

إنه دم وعرق هذا الشعب البائس من أجل تحويل إلى نقد معدني رنان ووضع صورة الملكة إليزابيث، بحيث أن اللذين لا فائدة منهم، اللذين حكم عليهم تطور الآلات والأزمات أن يموتوا من البؤس، يوافقون على الموت بدون تمرد مثل الوحوش المربوطة. ما هو الإكراه الذي يجب؟ (أي قيود

هائلة لم تكن ضرورية؟). لكننا نرى بوضوح إحدى الوسائل الرئيسية للإكراه الرأسمالي: إنه الجوع.
في نصف قرن، يمكن أن تسميه الإرهاب الاقتصادي، كان العامل- العبد المهدد بالبطالة والمهدد بالجوع، مهددا بالموت جوعا، يعمل في سجون المؤبد الصناعية، يعمل مثل البهيمة لكيلا يموت جوعا إلا على المدى الطويل، في 15 سنة (ليست لدينا أي بيانات عن متوسط أمد حياة المأجورين في ذلك الوقت، ونأسف لذلك، لأن تلك الأرقام ستلخص كل شيء).
لا يزال هذا هو الحال اليوم: الإكراه الاقتصادي – عن طريق الجوع- إنه القمع الأكثر أهمية والفعال الوحيد في النهاية، يضيف فقط إلى المكمل الذي يتطلبه الدفاع عن "النظام" الرأسمالي ضد فئات مقلقة، بالأخص، من الضحايا (المجرمين) وضد الثوار.

VIII ـ إبادة، أخطاء، تجاوزات و مراقبة

دعونا نكرر: إن الرعب أمر رهيب.
في الحرب الأهلية، ينطبق هذا على كل محارب من أجل الحياة- هذه الحرب تتجاهل تقريبا المحايدين- يجب على الطبقة العاملة، التي تعلمت في مدرسة الرجعيين، والتي تضع المؤامرات فوق رأسها تهديدا بالتصفية، هي نفسها أن تضرب أعداءها حتى الموت.
إن السجن لا يخيف أحدا، فأعمال الشغب تكسر بسهولة كبيرة الأبواب المغلقة، التي يمكن أن تفتحها الرشوة أو براعة المتآمرين أيضا.
هناك ضرورة أخرى تساهم في نشر خراب (دمار) الحرب في ذروة النضال. منذ الجيوش القديمة، كان الإذعان الوسيلة الكلاسيكية لإبقاء القوات تحت الطاعة، وقد نمت ممارستها خلال الحرب العظمى، خاصة على الجبهة الفرنسية بعد تمرد أبريل 1917، فهذا لا ينبغي نسيانه، وتتمثل في تصفية رجل واحد على عشرة، بغض النظر عن البراءة أو الذنب الفردي.
في هذا الصدد، هناك ملاحظة ذات طابع تاريخي، ففي عام 1871، تعرض الكومونيون لأكثر من تصفية من قبل الفرساليين، لقد سبق أن أوردنا التقديرات المتوسطة لعدد من تم إطلاق النار عليهم من كاليفيت وهو 20 ألف، في الوقت الذي كان فيه عدد مقاتلي الكومونة 160 ألف مقاتل.

إن منطق الحرب الطبقية عند البورجوازية الفرنسية، الأكثر استنارة في العالم – منطق تاين و رينان – يعلمنا هذا بهذه الأرقام.
لا تعترف طبقة بالهزيمة، ولا تهزم طبقة طالما أن نسبة عالية من الخسائر لم تلحق بها، لنفترض – شهدت روسيا العديد من هذه المواقف في السنوات البطولية للثورة – مدينة تضم 100 ألف من الناس، مقسمة إلى 70 ألف بروليتاري (نقوم بتبسيط: البروليتاريون والعناصر القريبة من البروليتاريا) و 30 ألف شخص ينتمون إلى البورجوازية والطبقة المتوسطة، معتادة على اعتبار نفسها تشكل الطبقة الحاكمة الشرعية، وليست محرومة من الوسائل المادية، أليس من الواضح، خاصة إذا كان الصراع يقتصر على المدينة، حيث المقاومة منظمة إلى حد ما لهذه القوة المضادة للثورة، لن تنكسر ما دامت لم تتكبد خسائر معتبرة إلى حد ما؟ أليس أقل خطورة من أن تضرب الثورة بقوة أكبر من أن ألا تضرب بقوة كافية؟
لقد أغدقت البورجوازية في التحذيرات الدموية على المستغلين، وها هم ينقلبون عليها، لقد حذرها التاريخ: كلما ألحقت بالطبقات الكادحة (العاملة) من المعاناة والبؤس، ففي يوم تصفية الحسابات، ستؤدي الثمن غاليا كلما قاومتها ، مثل المحكمة الثورية للثورة الفرنسية، لكن مع إجراء، بصفة عامة موجز بدرجة أقل، فإن تشيكا الثورة الروسية، حكمت بدون استئناف بلا هوادة على الأعداء الطبقيين، مثل المحكمة الثورية، حكمت أقل على تهم و اتهامات محددة استنادا على الأصول الاجتماعية والموقف السياسي والعقلية والقدرة على إيذاء العدو. تعني المسألة ضرب طبقة من خلال أناس أكثر بكثير من مسألة وزن أفعال محددة جدا. إن العدالة الطبقية لا تتوقف عند اختبار حالات فردية إلا خلال فترات الهدوء.
تبدو لنا الأخطاء و التجاوزات والمغالاة قاتلة بوجه خاص تجاه الأوساط الاجتماعية، التي يجب على البروليتاريا أن تسعى إلى حشدها: الفلاحون المتوسطون، الفئات الدنيا من الطبقات المتوسطة والمثقفون بدون ثروة، وأيضا تجاه المنشقين عن الثورة والثوريين المخلصين، اللذين أبعدتهم الإيديولوجيات عن ذكاء حقائق الثورة، واتخذوا مواقف معادية للثورة بشكل موضوعي، أتذكر أولئك الأناركيين، اللذين كان الأسطول الأحمر يدافع بمشقة عن كرونشتادت و بتروغراد (1920) ضد سرب انجليزي، واصلوا على الدوام، على متن قوارب قليلة دعايتهم القديمة الجيدة المضادة للعسكرة! أفكر أيضا في الاشتراكيين الثوريين اليساريين،

اللذين حاولوا في سنة 1918 إلقاء جمهورية السوفييت، الخالية من الجيش والموارد من أي نوع، في حرب جديدة ضد الامبريالية الألمانية، التي كانت لا تزال قوية.

بين هؤلاء "الثوار" الضائعين ورجال النظام القديم سعى القمع الثوري، ويجب أن يسعى دائما للتمييز، لكن تحقيق ذلك ليس ممكنا دائما.

في كل معركة اجتماعية، لا يمكن تجنب نسبة معينة من التجاوزات والتعسفات والأخطاء. إن واجب كل حزب وكل ثوري العمل على تقييده، وتعتمد أهميته في نهاية المطاف فقط على العوامل التالية:

1) نسبة القوى الموجودة ودرجة شدة الصراع.

2) درجة تنظيم النشاط الثوري، وفعالية مراقبة حزب البروليتاريا على العمل.

3) درجة ثقافة الجماهير البروليتارية والفلاحية.

إن درجة القساوة ينتج عن الظروف المادية للصراع:

إن السجون المزدحمة للثورة البروليتارية، لا يمكن مقارنتها من حيث النظافة والوضع الصحي، ب "السجون الجيدة" للبورجوازية ... في الوقت العادي.

في الأحياء المحاصرة، حيث تسود المجاعة والتيفوس، يموت في السجن أكثر بقليل مما يموت في الخارج. ما العمل في ذلك؟

- عندما يكون السجن مكتظا بالبروليتاريين والفلاحين، فإن هذا السؤال، الذي لا معنى له، لا يثير قلق المحسنين، ففي الوقت الذي كان فيه الكومونيون سجناء في مخيم ساتوري ينامون في العراء، على الأرض وفي الوحل، يرتجفون من جراء ليال مروعة، في المطر الغزير – ممنوعون من الوقوف، إذ يؤمر الحراس بإطلاق النار على أي شخص يقف –

كتب الفيلسوف "الكبير" تين: **"لقد وضع هؤلاء البؤساء أنفسهم خارج البشرية ..."**.

في اليوم التالي من الاستيلاء على السلطة، قامت البروليتاريا، التي استحثتها مهام لا حصر لها، بحل أهمها:

أولا التموين والتنظيم الحضري والدفاع الخارجي والداخلي، وجرد البضائع المصادرة والاستيلاء على الثروات. لقد كرست أحسن قواها لهذا الأمر، لم يبق للقمع الثوري – وهذا بسبب الأخطاء والتجاوزات – سوى أفراد من الدرجة الثانية، تحت قيادة رؤساء يتم أخذهم بشكل مطلق من بين الرجال الأكثر صلابة وأنقى (الشيء الذي كان في دكتاتورية

البروليتاريا في روسيا)، دزيرجينسكي كمثال، وفي هنغاريا أوتو كورفن كمثال.
غالبا ما تكون مهام الدفاع الداخلي للثورة هي الأكثر حساسية والأكثر صعوبة والأكثر إيلاما، وأحيانا الأكثر رعبا.
يجب على بعض أفضل الثوريين- على درجة عالية من الوعي، ذوي ضمير، وقناعات لا تتزعزع - أن يكرسوا أنفسهم لها، فبواسطتهم، تمارس سيطرة الحزب.

إن هذه المراقبة السياسية والأخلاقية المتواصلة في هذا المجال، كما في جميع المجالات الأخرى، تظهر، في نفس الوقت تدخل النخبة الأكثر وعيا من الطبقة العاملة، وتلك بالكاد الأقل مباشرة من الجماهير الشعبية، التي وضع الحزب جميع ممارسات نشاطه تحت سيطرتها الفعالة.
إنه يضمن الروح الطبقية للقمع، فإليه يرجع التقليل من احتمالات الأخطاء والتجاوزات بما يتناسب مع القوى، التي يمكن أن تطلقها طليعة البروليتاريا في هذا القطاع.

IX ـ قمع و استفزاز

لقد وقفنا طويلا على الاستفزاز، عند دراستنا للأوخرانا، إنه ليس عنصرا ضروريا في تقنية كل شرطة، فمهمة الشرطة هي المراقبة والمعرفة والتنبؤ، لا أن تستفز، تزرع وتحفز.
في الدول البورجوازية، فإن الاستفزاز البوليسي غير المعروف تقريبا في أوقات القوة، اكتسب أهمية واسعة كلما تراجع النظام وضعف وانزلق نحو الهاوية.
إن الأخبار كافية لإقناعنا، فهو عمليا غير ذي أهمية في الحركة العمالية في فرنسا وبلجيكا وإنجلترا، بلدان الازدهار النسبي للرأسمالية، ولم يكن الاستفزاز في ألمانيا في أعقاب الأزمة الثورية في أواخر سنة 1923، أقل أهمية من تلك التي كانت في روسيا بعد ثورة 1905.
لقد كشفت محاكمة لايبزيغ، المعروفة باسم محاكمة تشيكا الألمانية، والتي فبركت خلالها شرطة برلين عملية سطو ليلية (مارس – أبريل 1925) في منزل أحد المحامين، الاشتراكي **كورت روزنفيلد،** للأمن العام الرايخ، كواليس تشبه إلى حد كبير الأوخرانا القديمة.
في بلد آخر، حيث الرجعية، في احتكاك، لما يقارب العامين، مع ثورة شعبية – بلغاريا – نفس الظاهرة ولكن أكثر حدة،

وفي بولونيا، أصبح الابتزاز سلاح بامتياز للرجعية ضد الحركة العمالية.
دعونا نقتصر على هذه الأمثلة:
إن الاستفزاز البوليسي هو بشكل خاص، سلاح أو –شر- الأنظمة المنحلة (المتداعية)، وإدراكا منها لعجزها في التنبؤ والمنع، فإن شرطتها تثير مبادرات يتم قمعها بعد ذلك.

X ـ متى يكون القمع فعالا؟

كانت الأوخرانا غير قادرة على منع سقوط الأوتوقراطية، لكن التشيكا ساهمت بشكل كبير في منع الإطاحة بسلطة السوفييت. لقد سقطت الأوتوقراطية الروسية بالفعل أكثر مما تمت الإطاحة بها. إن زعزعة واحدة كانت كافية. هذا البناء القديم الذي أكله الدود، الذي تمنى الغالبية العظمى من السكان أن ينهار.
لقد كان التطور الاقتصادي لروسيا يتطلب ثورة، فما الذي يمكن أن يفعله الأمن العام إزاء ذلك؟ هل كان عليه أن يعالج تضارب المصالح، التي كانت تشكل مواقع متواجهة بين أعداء خطيرين مستعدين لفعل أي شيء للخروج من وضع ليس له نتيجة أخرى سوى الحرب الطبقية، البورجوازية الصناعية والمالية، الملكية الكبيرة، النبلاء، المثقفون، وغير المصنفين، والبروليتاريا والجماهير الفلاحية؟
لا يمكن لعمله أن يوفر للنظام القديم، وأيضا شرط أن يتفق مع إجراءات ذكية للسياسة العامة، إلا بقاء محدودا، فهذا الجيل من رجال الدرك والعملاء الاستفزازيين بشكل عام، لا يمكنه صد اندفاع الأمواج ضد الجرف القديم المتصدع، المتهالك، المستعد لدفنهم تحت أنقاضهم، يا لها من مهزلة.
ليس لدى التشيكا مثل هذه الوظائف السخيفة، ففي بلد مقسم إلى بيض وحمر، حيث يشكل الحمر الأغلبية بقوة الضرورة، فهي تبحث عن العدو، تنزع سلاحه وتضربه.
إن الاستفزاز هو أيضا فعل عفوي، أولي، ناتج عن معنويات شرطة محاصرة تجاوزتها الأحداث، والتي لا تستطيع أداء مهمة إلى ما لا نهاية، فوق قوتها، وتريد مع ذلك تبرير الانتظار ونفقة أسيادها.

ليس بيد الأغلبية ضد الأقلية إلا سلاحا واحدا، سلاح من بين أسلحة أخرى، إضافي في نهاية المطاف، والذي لا يحظى بأهمية كبيرة إلا في حالة الخطر من أن يتم المساس بالثورة، رصاصة العدو في الرأس.

يقال إنه في اليوم التالي على الاستيلاء على السلطة، قضى لينين ليلة كاملة بلا نوم، يكتب مرسوم مصادرة الأراضي، وقال "شريطة أن يكون لدينا الوقت لإصداره. دعونا نحاول، قبل أن ينزعوا منا هذا". إن مصادرة أراضي النبلاء أعطت للبلاشفة دعم الملايين من الفلاحين.

يكون القمع فعالا عندما يكمل تأثير، تدابير فعالة للسياسة العامة. قبل ثورة أكتوبر، عندما رفضت حكومة كرينسكي تلبية مطالب الفلاحين، فإن اعتقال المحرضين الثوريين لم يعمل سوى على زيادة الاضطراب والسخط في القرى. بعد تشريد القوى الاجتماعية، التي تعمل في الريف من خلال مصادرة الأراضي، فإن مصلحة المناطق الريفية من الآن فصاعدا، تدفعهم للدفاع عن سلطة السوفييت والقبض على المحرضين الاشتراكيين الثوريين والملكيين الراغب بعضهم في استغلال شعبيتهم الماضية في الريف، والبعض الآخر اعتمد على الروح الدينية كي يزيل سببا للاضطرابات.

إن القمع سلاح فعال ضد طبقة نشيطة واعية بما تريد، تخدم مصالح الأكثر عددا، بينما في أيدي أرستقراطية متدهورة، حيث تشكل امتيازاتها عقبة أمام التطور الاقتصادي، فهو غير فعال تاريخيا.

علاوة على ذلك فإننا لا نخفيها: يمكن للبورجوازية القوية في فترات حاسمة أن تقدم تقريبا نفس الخدمات التي تقدمها البروليتاريا خلال الحرب الأهلية. يكون القمع فعالا عندما يعمل في اتجاه التطور التاريخي، لكنها تكون عاجزة في نهاية المطاف عندما تمشي ضد تطور التاريخ.

XI ـ وعي الخطر و وعي الهدف

في 20 حالة، في ذروة الحرب الأهلية، كما قبل الاستيلاء على السلطة، تمسك لينين باستعادة تعاليم ماركس حول مسألة اختفاء الدولة والإلغاء النهائي للإكراه في المجتمع الشيوعي.

إن أحد الأسباب التي يستحضرها لينين في الدعوة إلى استبدال كلمة اشتراكي ديموقراطي بكلمة شيوعي بالنسبة للحزب البلشفي، هو أن استعمال مصطلح اشتراكي ديموقراطي بدل شيوعي غير صحيح علميا، فالديموقراطية

هي أحد أشكال الدولة، بينما نحن الماركسيون ضد كل دولة [28].

نتذكر أيضا مقالا كتبه لينين في أوقات رهيبة بمناسبة فاتح ماي (1920على ما أعتقد)، أن القبضة الحقيقية للحزب البروليتاري كانت لا تزال تحافظ على "شيوعية الحرب"، بينما الرعب الأحمر كان نائما فقط.

أبعد من هذا الحاضر البطولي والرهيب، أبقى رجال الثورة أعينهم ثابتة على الهدف بهدوء، محصنين ضد كل طوباوية، مزدرين للأحلام، ولكن مرتبطين بثبات بالسعي إلى تحقيق الغايات الأساسية للثورة، فقد استحضر لينين القائد بلا منازع للدولة البروليتارية الأولى، لينين، منظم دكتاتورية، ذكر بالمستقبل، حيث العمل والتوزيع لمنتجاته سيخضع للقاعدة: "من كل حسب طاقته، إلى كل حسب حاجته".

هذا هو الفرق الأسمى بين الدولة الرأسمالية والدولة البروليتارية: الدولة العمالية تعمل من أجل اختفائها، والفرق الأسمى بين الإكراه – القمع، الذي تمارسه دكتاتورية البروليتاريا هو أن هذه الأخيرة تشكل سلاحا ضروريا للطبقة التي تعمل على إلغاء كل الإكراهات، لا يجب نسيان هذا أبدا، فهذا الوعي بأعلى الأهداف هو أيضا يعتبر قوة.

كان بإمكاننا في نهاية القرن الماضي رعاية الحلم العظيم، بتحول اجتماعي مثالي، لقد كرست العقول الطيبة نفسها له، مزدرية أو مشوهة علم ماركس، فقد كانوا يحلمون بالثورة الاجتماعية على أنها مصادرة غير مؤلمة تقريبا، لأقلية ضئيلة من البلوتوقراطيين، ولماذا البروليتاريا الشهمة، محطمة السيوف القديمة والبنادق الحديثة، لا تمنح تعويضا لمستغليها من المحرومين القدامى؟ إن آخر الأغنياء سيموتون بسلام، عاطلين محاطين بازدراء ساخر.

إن مصادرة الخيرات التي راكمتها الرأسمالية، إلى جانب إعادة التنظيم العقلاني للإنتاج، سيوفر للمجتمع كله الرخاء والأمان على الفور.

إن جميع الإيديولوجيات العمالية ما قبل الحرب مخترقة بهذه الأفكار الخاطئة بدرجة أقل أو أكثر. إن الأسطورة الراديكالية للتقدم تسيطر عليهم، لكن الإمبرياليات كانت تهيئ مدفعياتها.

في الأممية الثانية، أدركت حفنة من الماركسيين – الثوريين وحدها الخطوط الرئيسية لتطور التاريخ. في فرنسا، فيما يتعلق بمسألة العنف البروليتاري، رأى فقط، بعض الساندكاليين الثوريين الأمر بوضوح ... بينما الرأسمالية، التي كانت غير عادلة وقاسية في السابق بلا شك، لكنها خالقة

الثروات، أصبحت في ذروة تاريخها، الذي بدأ في غشت 1914، مدمرة لحضارتها الخاصة ومبيدة شعوبها...
لقد تطورت بشكل مذهل في قرن من الاكتشافات والعمل الشاق والتقنية العلمية، في أيدي البورجوازيين الكبار، رؤساء الأبناك والتروستات، لكن كل هذا انقلب ضد الإنسان.
إن كل ما كان يصلح للإنتاج وتوسيع سلطة الإنسان على الطبيعة واثراء الحياة، استخدم في التدمير والقتل بقوة متزايدة فجأة.
كان يكفي صباح من القصف لتدمير مدينة، وعمل قرون من الثقافة، كانت تكفي رصاصة من 6 ملمترات لوقف تام لوظيفة الدماغ الأكثر تنظيما.
لا يمكننا تجاهل أن صراعا امبرياليا جديدا يمكن أن يسبب الموت للحضارة الأوروبية، التي كانت قد تضررت بالفعل.
من المعقول أن نتوقع في ظل تقدم "الفن العسكري" إبادة سكان دول بأكملها بالطيران المجهز بأسلحة كيميائية، حيث عصبة الأمم – التي لن تتهم بالديماغوجية الثورية! - أدانت سنة 1924، في وثيقة رسمية، الأخطار دون تسميتها.

إن لحم وعظام ملايين القتلى ما بين 1914 و1918، لم تنته بعد عملية امتصاصها تحت تراب الآثار الوطنية، حتى أصبح التهديد من جديد يخيم فوق رأس الإنسانية.
يجب، النظر بجدية للحقائق القاسية للثورة، تذكر هذه الأشياء. إن التضحيات التي فرضتها الحرب الأهلية، والضرورة التي لا هوادة فيها للرعب وقسوة العنف الثوري، وحتمية الأخطاء المؤلمة، ستبدو عندئذ مقلصة إلى أبعادها الصحيحة. إنها تلك الشرور الصغيرة جدا مقارنة بالكوارث الهائلة.
إذا كان الأمر غير مجد، فإن صندوق عظام أموات فردان يبررها بشكل كاف.
"الثورة أو الموت" [29]، هذه الكلمة الصادرة عن مقاتل فردان تبقى حقيقة عميقة، ففي الساعات المظلمة القادمة من التاريخ، ستكون هذه هي المعضلة.
سيأتي زمن الطبقة العاملة لإنجاز هذه المهمة الصعبة ولكنها مفيدة: إنها الثورة.

قام بترجمته عن النص الفرنسي

أحمد الشرقاوي

الهوامش

[1] كان للاشتراكيين الثوريين في العصر الزاهي (الذهبي) للحزب أزيف، الذي من الممكن أن نشاطه كان أكثر اتساعا ومنفردا عن عصر مالينوفسكي. الرجوع في هذا الموضوع إلى كتاب جون لونغي [و جورج سلبير]"إرهابيون و بوليس"، مكتبة فليكس جوفين، باريس، 1909.

[2] بينما المبادرات الفردية أو الجماعية توافق حاجات وتطلعات الحزب – بمعنى البروليتاريا – اكتسب فيها أقصى قدر من الكفاءة (الفعالية).

[3] قام كاليئيف، بأمر من الحزب الاشتراكي الثوري، بتصفية الدوق الكبير سيرج (موسكو في 4 (17) فبراير 1905) وقد تم شنقه. كما أعدم إيغور سازونوف رئيس مجلس بلهفي في نفس السنة في بطرسبورغ. حكم عليه بالإعدام وتم العفو عنه ثم إرساله إلى الأشغال الشاقة، فالعفو عنه، وانتحر في سجن أكاتوي قبل أشهر قليلة من انتهاء صلاحية الحكم، وذلك من أجل الاحتجاج ضد سوء المعاملة، التي مارسها ضده رفاقه المعتقلين. هذان الرجلان تميزا بجمال أخلاقي كبير، وقد تركا في روسيا ذكرى (آثار) عميقة.

[4] ستولبين: رئيس حكومة القيصر، في فترة رد فعل لا هوادة فيه من طرف الثورة المضادة الذي تلا ثورة 1905، عمل على تقوية النظام بواسطة قمع ممنهج وبواسطة إصلاحات زراعية.

[5] قليلون هم المكسيماليون المنشقون عن الحزب الاشتراكي الثوري، الذين كانوا يستنكرون فيه الرشوة لدى رؤسائه، و إيديولوجيته الانتهازية، كانوا، خاصة، مع نظريات متطرفة إلى حد كبير أكثر منها نزوية، إرهابيون لا يعرفون الخوف، و قد بقي منهم حفنة تجاور الاشتراكيين الثوريين اليساريين.

[6] أدى سولومن ريس ثمن بطشه غاليا. كان عليه، بعد توقيفه في جنوب روسيا، بعد أعمال خطيرة متنوعة أن يدافع عن نفسه أمام القضاة ضد الشك الخطير لرفاقه في النضال. بعد أن رفض "العودة إلى الخدمة" في الأوخرانا حكم عليه بالموت في كييف، وقد مات كثوري.

[7] ما زال م. ريموند روكولي يسكب في الجرائد البورجوازية ذات السعر الجيد وطنيته المستنيرة. إن المال ليست له رائحة.

[8] هاس: زعيم الاشتراكي الديموقراطي الألماني، الذي قتل سنة 1919 من طرف أحمق يدعى دان، وهو منشفي روسي.

[9] تعاون وثيق تقريبا بمثابة قاعدة، بين بوليس الدول الرأسمالية، من الممكن بمعنى معين، الحديث عن بوليس دولي. حول البدايات الكبرى للتعاون بين أوخرانا القياصرة وأمن الجمهورية الثالثة الفرنسية، سنجد صفحات غريبة ومفصلة في كتاب قديم لصاحبه م. إرنست دودي. "ذكريات وثورات". التاريخ الدبلوماسي للرابطة الفرنسية – الروسية (ب. أولندروف، باريس، 1894) نرى فيها م. م دوفريسينت، ريبو، كونستاس، وزراء في ذلك الوقت، ينسقون مع السفير الروسي مهرنهيم، اعتقال مجموعة من العدميين نظمت العملية من طرف المخبر لاندسن (الذي نجح في وقت لاحق، تحت اسم هارتينغفي في مهنة دبلوماسي في فرنسا، وتم منحه فيلق شرف – كتاب آخر، قليلا ما نسي "الرابطة الفرنسية – الروسية" [أ. فلاماريون، باريس 1897] لصاحبه جول هانسن يوافق هذه الحكاية. أخيرا، الزعيم السابق للأمن، غورون، يحكي في مذكراته أن عمدة باريس طلب من رئيس البوليس الروسي في باريس (ر. رتشوفسكي) مساهمة عملائه في مراقبة بعض المهاجرين (ذكره ف. بورتزيف). لنثبت هذه الاعترافات وإن كانت قديمة: بتوقيع رجال، حيث لا يتم الشك في أن يريدوا الافتراء على الحكومة الفرنسية. لنتذكر وقائع حديثة جدا، التي لم تحدث الصدى المأمول للأسف، حتى في الصحافة العمالية. في فبراير 1922، نيكولو فورت، واحد من القتلة المفترضين للوزير الأول الإسباني داتوو زوجته جواكينة كونسبيسبون، تم تسليمهما من طرف الشرطة الألمانية إلى الشرطة الإسبانية بواسطة الشرطة الفرنسية. إن نقل المسلمين تم في أقصى سرية، وقد دفعت الحكومة الإسبانية للشرطة البرلينية مكافأة عالية. في سنة 1925، في ظل حكومة هريوت طرد الدرك و البوليس الفرنسي عدة مرات إلى حدود البيريني، عمال إسبان، ملاحقون من طرف بوليس بريمو دو ريفيرا.

(10) فلاديمير بورتزيف، ناشر ليبيرالي كرس نفسه لتاريخ الحركة الثورية والنضال ضد الاستفزاز البوليسي. كشف كلا من الاستفزازيين، أزيف، هارتينغ، - لاندسن - وأعدادا أخرى. امتدح الإرهاب الفردي ضد النظام القديم –بعد سقوط القيصرية تطور بشكل سريع جدا- كما هو الحال بالنسبة لأغلبية الاشتراكيين- الثوريين، في اتباع رفاقهم في النضال نحو الثورة المضادة. أصبح صديقا ومتعاونا مع ج. هرفي، نصير التدخل في روسيا، أصبح عميلا لدنكين، كولتشاك و ل. فرانجيل في باريس.

(11) كل مراسلات هذه الشخصية ورؤسائها كانت مفيدة للغاية. نرى فيها مدير أمن بطرسبورغ يؤكد ل م. كراسلينكوف أن السلطات الروسية، وفي جميع الظروف، ستكذب دوره في البوليس الروسي: نرى فيها "مستشار السفارة" الغريب هذا – بشكل رسمي- يتآمر من أجل أن يفشل أبحاث بورتزيف. مؤامرة معقدة بشكل مذهل. دخل عميل سابق روسي في الخارج (فرانسوا) في علاقة مع بورتزيف يكشف له اعترافات، وتكلف بترصد شخص يشتبه في أنه استفزازي، ولكنه في الواقع يراقب بورتزيف نفسه الذي يخبر الأوخرانا عنه. وشاية وخيانة من الدرجة الثالثة! حد أن يضيع المرء في ذلك.

(12) بيلو أ (الماضي)، باريس، 1908.

(13) ملف مراقبة المنظمات الاشتراكية – الديموقراطية لسنة واحدة، 1912، يحتوي على 250 مجلدا ضخما.

(14) أصبح منذئذ، قوميا، حكومي وبوليسي حزب بيلسودسكي.

(15) كونسيراتفنو؟

[16] النجار ستيفان خالتورين، مؤسس التجمع الشمالي للعمال الروس سنة 1878، كان واحدا من الأسلاف الحقيقيين للحركة العمالية في روسيا، متقدما بربع قرن عن عصره، كان يعتبر أن الثورة ستنفجر بإضراب عام. تم تشغليه كنجار في مصلحة العمال في قصر الشتاء، كان ينام هناك لوقت طويل على فراش كان يملأه شيئا فشيئا بالديناميت ... وقد نجا ألكسندر الثاني من الانفجار الذي وقع في 5 فبراير 1880 – تم شنق خالتورين سنتين بعد الحادث، بعدما قام بتصفية الوكيل العام سترلنيكوف لمدينة كييف. لقد اتجه إلى الإرهاب بسبب الاستفزاز البوليسي الذي دمر تجمعه العمالي لأنه واحد من أكبر وجوه تاريخ الثورة الروسية وأشرفها.

[17] جمهورية كرينسكي الديموقراطية التي اعتقدت بإمكانية تجنبهم، وقد نجح بعضهم في الانتقال إلى الخارج.

[18] دورية الوزير جاريس تأمر(تلزم) السلطات المحلية بتتبع وتوقيف كل المناضلين العمال الثوريين. نعرف أنها جرت إلى السجن حوالي 7000 شيوعي.

[19] تشكل الحزب الشيوعي اليوغوسلافي في اللاقانونية (اللاشرعية)، عدده اليوم عدة آلاف من الأعضاء.

[20] انظر حول هذا الموضوع، ف. لينين: "ما العمل"؟، مكتبة الإنسانية، باريس 1950.

[21] تم التعرف على جون ماكس بواسطة المجلة "لي هامبل" [يديرها موريس وولنس، دفتر رقم 10، أكتوبر 1923، ص 21 –22].

[22] هو السيد جون ديدييه، يعيش في باريس (المقاطعة 18)، بكل صراحة، تنتمي مصنفاته الشاقة حول "المؤامرة الكنسية –اليهودية-الجرمانية– البلشفية (أوف) أكثر إلى أدب (الأدبيات)نصف الحمقى أكثر منها إلى عمل بوليسي جاد. ومع ذلك يحظى بالتقدير من طرف البورجوازية الفرنسية.

(22) انظر "الجاسوس العمالي" لصاحبهما س. هوارد، و روبير. و. دون، في "دو نيو ربوبليك"(روببليك الجديدة)، نيويورك، ورواية أوبتون سنكلير: 100%.

(23) من الآن فصاعدا، في البلدان الرأسمالية الكبرى، كل حرب تتجه شيئا فشيئا إلى أن تتحول في الداخل إلى حرب طبقية. إن التعبئة الصناعية، ووضع الأمة بأكملها في حالة حرب، يستوجب السحق القبلي للحركة العمالية. شرعت في إثبات، في سلسلة من المقالات المكرسة للحرب، التي تعود إلى [المراسلة الدولية، عدد 72-81، 1925]. أن التعبئة ستكون الخنق، ومفاجئة قدر الإمكان، للبروليتاريا المنظمة. لن تصمد سوى المنظمات والأحزاب والنقابات والمجموعات، التي ستكون مهيئة لها. سيكون من الحكمة معالجة هذا المشكل بعمق.

(24) عندما ألقى إيغور سزونوف القنبلة تحت عربة دو فون بلهفي (بترسبورغ 1905) قتل الوزير وأصيب الإرهابي بجروح خطيرة، وعندما حمل الجريح إلى المستشفى، كان محاطا بمخبرين أذكياء، اللذين أعطيت لهم التعليمات بتسجيل أدنى كلمة ينطق بها في هذيانه. بمجرد أن استعاد سزونوف وعيه تم استنطاقه بشكل عنيف، وقد كتب إلى رفاقه من السجن: "تذكروا أن العدو حقير بشكل لا نهائي!".
- دفعت الوقاحة بالأوخرانا إلى إرسال محامين مزيفين إلى المتهمين.

(25) لقد سردت هذه الحلقات في "خلال الحرب الأهلية" (مكتبة العمل، باريس 1921 [انظر "ذكريات ثوري" مصدر مذكور سابقا ص 103 - 127].

(26) تقلص عدد المواليد لا يقلق رؤساء البورجوازية الفرنسية إلا بشكل متوسط، لقد وصلت اللجان المنشأة لدراسة الأسباب إلى نتيجة، فالشيء الذي يعد هو الصحيح بشكل بارز أن هذه الظاهرة تميز دولة المستأجرين الصغار، عند ذاك، ماذا يمكن أن يفعل المشرع؟ كل ما عليه فعله هو توجيه تحذيرات أفلاطونية إلى المستأجر الصغير الأناني الذي يريد طفلا واحدا.

(27) لقد سبق أن أشرنا في مكان آخر إلى أيام يونيو 1848، يجب شجب النسيان، الذي سقطت فيه هذه الصفحة البناءة والمجيدة لتاريخ البروليتاريا الفرنسية. عاشت بورجوازية الجمهورية الثانية أزمة، وكانت النتائج اتساع البطالة، فلم تجد حلا لمشكل البطالة ولم تجد من حل لذلك سوى استفزاز الناس للقيام بانتفاضة ثم قمعهم، ويقدم بول لويس في "تاريخ الاشتراكية الفرنسية" صورة موجزة لهذه الأحداث.

(28) انظر فكتور سيرج، "لينين 1917" مكتبة العمل، باريس 1925 [انظر "ذكريات ثوري" مصدر مذكور سابقا، ص 167 - 216].

(29) ريموند لوفيفر.